نظام التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

محتوى البلاغة ٢ (البيان والبديع)

د / فايز عارف القرعان

المحاضرة الاولى

علم البيان: مفهومه وأقسامه.

عناصر المحاضرة:

١- علم البيان: مفهومه، وأقسامه.

- التشبيه: مفهومه، وأركانه. وطرفاه من حيث مادتهما.

مفهوم علم البيان: اختلف البلاغيون في تعريفهم مصطلح (البيان) فبعد أن كان يعني الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي عند الجاحظ، وكان يعني الاسم الذي يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك عند جعفر بن يحيى استقر على تعريفه القزويني وأخذ يعرف به، يقول القزويني:"هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه".

-إن قوله (علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة) يعني أن الفكرة الواحدة أو المعنى الواحد يمكن أن نعبر عنه بطرائق تعبيرية مختلفة وجميعها يندرج تحت ما نسميه (علم البيان).

١- قال البحتري يمدح المتوكل:

فمثلاً يمكننا أن نلحظ معنى الكرم بالأساليب التعبيرية الآتية:

ما زلتَ بحرًا لعافينا فكيف وقد قابلتنا ولك الدنيا بما فيها

عبر البحتري بقوله (ما زلت بحرًا) عن كرم المتوكل مشبها إياه بالبحر كثير العطاء. وهذا تعبير بطريقة التشبيه.

٢- وقال المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

يشيرالمتنبي بكلمة (البحر) إلى الممدوح وهو سيف الدولة إذ شبهه بالبحر. وهذا عن طريق الاستعارة.

٣- وقال آخر:

ما زلتَ تُتْبِعُ ما تُولي يدًا بيد حتى ظننتُ حياتي من أياديكا

عبر الشاعر بكلمات (يدًا بيد وأياديك) عن النعم التي يتصف بها الممدوح، وهذا عن طريق المجاز المرسل.

٤- وقال آخر:

فما جازه جود ولا حلّ دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

نسب الشاعر في البيت الجود (الكرم) إلى المكان الذي يسير فيه الممدوح مكنياً به عن كرمه وذلك بنسبته إلى مكانه.

- فطرائق علم البيان إذن مختلفة نستطيع أن نعبر بها عن المعنى الواحد.

أقسام البيان هي:

١- التشبيه. ٢- المجاز العقلي. ٣- المجاز المرسل. ٤- الاستعارة. ٥- الكناية.

مفهوم التشبيه: يقول القزويني: " التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى".

ويمكن أن نعرفه بأنه إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما.

فالتشبيه إذن يتكون من أربعة أركان، هي: المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، ووجه الشبه الذي يجمع بين المشبه والمشبه به.

فلو نظرنا في قول ابن المعتز الآتي، لأدركنا هذه البنية، يقول:

وكأنَّ البَرْقَ مُصْحَفُ قارٍ فانطباقاً مرَّةً وانفتاحا

نلحظ من البيت أن الشاعر أراد أن يتحدث عن البرق، فأتى بالبرق وجعله المشبه، ثم أتى بكلمتي(مُصْحَفُ قارٍ)، وجعلهما مشبهاً به، وكل غاية ابن المعتز من الجمع بين المشبه والمشبه به أن يوصلهما إلى المتلقي بصورة جديدة تختلف عن الأصلين الدلاليين اللذين أخذ كل طرف منهما، هذه الصورة هي صورة حركية بين انقباض وانبساط دالاتها مزيج من البرق والمصحف.

أركان التشبيه هي:

١- المشبه (وهو الطرف الأول في التشبيه).

٢- المشبه به (وهو الطرف الثاني في التشبيه).

٣- أداة التشبيه.

٤- وجه الشبه.

وهذه الأركان ليست سواء في التشبيه فالمشبه والمشبه به لا يمكن الاستغناء عنهما فبدونهما لا يقوم التشبيه، في حين يمكن أن نستغني عن ذكر الأداة أو وجه الشبه لجواز تقديرهما فيه.

طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به)

التفت البلاغيون في حديثهم عن طرفي التشبيه إلى البحث في المراجع الإدراكية التي صدر عنها كل منهما، ونظروا أيضاً إلى الخاصية التركيبية التي ائتلفت فيها كلماتهما في السياق التشبيهي، فجاؤوا بعدد من المباحث هي:

١- الطرفان من حيث مادتهما: (الحسية أو العقلية).

٢- بنية الطرفين التعددية.

٣- بنية الطرفين الإفرادية والتركيبية.

الطرفان من حيث مادتهما: (الحسية أو العقلية).

ينقسم طرفا التشبيه من حيث مادتهما الى أربعة أقسام هي:

١- التشبيه الذي طرفاه حسيان.

٢- التشبيه الذي طرفاه عقليان.

٣- تشبيه المحسوس بالمعقول.

٤- تشبيه المعقول بالمحسوس.

ومعنى الحسي هو ما يدرك بإحدى الحواس الخمس (البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس).

١- **تشبيه المحسوس بالمحسوس:** وهو أن يكون فيه المشبه محسوساً، والمشبه به محسوسًا أيضاً. كما في تشبيه الخد بالورد، والقد بالغصن، والفتاة بالبدر في المبصرات، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات، والنكهة بالعطر في المشمومات، والريق بالخمر في المذوقات، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات. وكما في قول ابن المعتز:

زَارَني والدُّجى أحمُّ الحوَاشي والثريا في الغَربِ كالعُنقُودِ

وهِلاَلُ السماء طوقُ عَرُوسٍ باتَ يُجْلَى على غلاَئلَ سُودِ

فالتشبيه الأول (الثريا في الغرب كالعنقود) يتضمن مشبهاً (الثريا) يدرك بحاسة البصر، ومشبهًا به (العنقود) يدرك أيضًا بحاسة البصر. وكذلك الحال في التشبيه الثاني (وهِلاَلُ السماء طوقُ عَرُوسٍ) فإن المشبه فيه (هلال السماء) يدرك حاسة البصر، والمشبه به (طوقُ عَرُوسٍ) يدرك بحاسة البصر أيضاً.

ومثال الحسي بالحسي أيضاً:

قول الشاعر: أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقًا وغربًا

قول آخر : غزال فوق ما أصِفُهُ كأنّ قوامه أَلِفُهْ

قول آخر : وزنْجيٍ له تحكي البروقَ سيوفُه وتحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافرُه

-وقد أدرج البلاغيون تحت الطرفين الحسيين التشبيه الخيالي المركب من عناصر متعددة كل واحد منها يدرك بإحدى الحواس ولكن هيئته المركبة لا وجود لها في الواقع الحقيقي، وإنما وجودها في الواقع المتخيل. كما في قول الشاعر:

وكأن محمر الشقيـ ـق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ـن على رماح من زبرجد

٢- **تشبيه المعقول بالمعقول:** وهو أن يكون طرفا التشبيه من مرجعين عقليين. كما في قول الشاعر:

ربِ حي كميت ليس فيه أمل يرتجى لنفع وضر

يمثل المشبه (حي) معنى عقلياً وهو الحي الموجود العار عن الفوائد، ويمثل المشبه به (ميت) معنى عقلياً وهو العدم. وهما معنيان لا يدركان إلا بالعقل.

-وكما في قول امرئ القيس:

العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارِ

إذ شبه (العيش) المدرك بالعقل بـ(النوم) المدرك بالعقل أيضاً، وشبه (المنية) المدركة بالعقل بـ(اليقظة) المدركة بالعقل أيضاً.

-وأدخل البلاغيون في التشبيه العقلي بالعقلي التشبيه الوهمي، والتشبيه الوجداني، قال القزويني: "فدخل فيه الوهمي، وهو ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها، كما في قول امرئ القيس:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وعليه قوله تعالى " طلعها كأنه رؤوس الشياطين " وكذا ما يدرك بالوجدان كاللذة والألم والشبع والجوع".

٣- تشبيه المحسوس بالمعقول: وهو أن يكون المشبه محسوساً ، والمشبه به عقلياً، كما في قول القاضي التنوخي:

فانهَض بنارٍ الى فحم كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا

شبه الشاعر هنا شيئين بشيئين إذ شبه الـ (نار) المدركة بحاسة البصر بالمشبه به الـ(إنصاف) المدرك بالعقل، وشبه الـ (فحم) المدرك بحاسة البصربالمشبه به الـ (ظلم) المدرك بالعقل.

٤- تشبيه المعقول بالمحسوس: وهو أن يكون المشبه معقولاً ، والمشبه به محسوساً، كما في قول الأرجاني :

إذا ما الهمومُ المُسهِرات طَرقْنَه ضُيوفاً قرَاها جَمْعُهُ الجِدّ والجَدّا

وكالصُّبح مُبْيْضاً له الرَّأيُ يُنتضَى إذا ما أظَلَّ الخَطْبُ كاللّيلِ مُسوّدا

في البيتين ثلاثة تشبيهات: كل مشبه فيها يدرك بالعقل، وكل مشبه به يدرك بالحس، فـ(الهموم) المشبه تدرك بالعقل و(الضيوف) المشبه به يدرك بالحس. و(الرأي) المشبه يدرك بالعقل، و(الصبح) المشبه به يدرك بالحس.و(الخطب) المشبه يدرك بالعقل، و(الليل) المشبه به يدرك بالحس. وهذا النمط من التشبيه خلاف النمط السابق فهو هنا يمتلك نوعاً من الجماليات التعبيرية التي تقود المتلقي من الخفي إلى الجلي الظاهر

من أمثلته أيضًا:

قال أبو العلاء:

وكالنار الحياةُ فمِنْ رمادٍ أواخرها وأوّلها دخانُ

وقال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تُهْمِلْهُ شبَّ على حُبِّ الرّضاع وإنْ تَفْطمه ينفطِمِ

تدريبات :

اقرأ الأمثلة الآتية وأجب عما يليها من أسئلة:

١- أغرّ أبلجُ تأتم الـــهداة به كأنه علم في رأسه نـــار

٢- كأن عيون النرجس الغضّ حولنا مداهنُ دُرٍّ حشْوهن عقيـــق

٣- لها بشر مثل الحرير ومنطـق رخيم الحواشي لا هُراء ولا نـزَرُ

٤- كأن على أنيابها كلَّ سُحْـرة صياغُ البوازي من صريف اللوائك

٥- قال تعالى: "كأنهن الياقوت والمرجان".

- حدد أركان التشبيه في كل ما سبق.

- بين الطرف العقلي والطرف الحسي في كل منها مبيناً نوع الحاسة التي يدرك بها هذا الطرف.

المحاضرة الثانية

التشبيه (٢)

عناصر المحاضرة :

ثانياً- بنية الطرفين التعددية: ثالثاً- بنية الطرفين الإفرادية والتركيبية: رابعاً- أدوات التشبيه.

١- التشبيه الملفوف.
٢- التشبيه المفروق.
٣- تشبيه التسوية.
٤- تشبيه الجمع.

١- تشبيه طرفاه مفردان.
٢- تشبيه طرفاه مركبان.
٣- تشبيه مفرد بمركب.
٤- تشبيه مركب بمفرد.

بنية الطرفين التعددية :

وقف البلاغيون على طرفي التشبيه ملاحظين تعدد كل طرف من طرفيه، من حيث إيراد مشبه واحد فيه أو أكثر من مشبه وإيراد مشبه به واحد أو أكثر من مشبه به. بحيث لا يحتاج كل واحد من المتعدد الآخر في إنتاج الشبه أو وجه الشبه؛ بمعنى أن كل واحد يشكل تشبيهاً منفصلاً عن الآخر في إحداث وجه الشبه ولا يحتاج الآخر في هذا. وقد عينوا أربعة أقسام للتشبيه من هذا القبيل، هي:

١- **التشبيه الملفوف:** وهو أن يأتي مشبهان أو أكثر في جهة يقابلان مشبهين بهما أو أكثر في الجهة الأخرى من التشبيه من غير أن يكون أحدها متصلاً بالآخر ومحتاجاً له لإتمام الشبه في التشبيه. وقد عرفه القزويني في قوله: "الملفوف ما أُتي فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما". كما في قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

وذلك أنه شبه قلوب الطير رطبة بالعناب وقلوبها يابسة بالحشف البالي، وجعل المشبهين في ناحية معاً والمشبهين بهما معاً في جهة مقابلة للأولى.

ومنه قول ابن المعتز: ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شَعرٌ ووجهٌ وقَدٌّ
خمرٌ ودرٌّ ووردٌ ريقٌ وثغرٌ وخدّ

وقوله:

تبسّمٌ وقطوبٌ في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد

٢- **التشبيه المفروق:** وهو أن يأتي المشبه والمشبه به مقترنين معاً ثم يأتي آخران يتبعان الأولين وهكذا. وقد عرفه العباسي في قوله: "التشبيه المفروق، وهو: أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر وآخر". كما في قول المتنبي:

بَدَتْ قمراً ومالَتْ غُصنَ بانٍ وفاحَتْ عنبراً ورنَتْ غَزَالا

فالمتنبي يدرج في بيته أربعة تشبيهات: إذ شبه طلعة المرأة بالقمر، وشبه قدها بغصن البان، وشبه نشرها بالعنبر، وشبه نظرتها بنظرة الغزال. وهي تشبيهات متتابعة متجاورة في البنية التركيبية دون اتصال بينها، ودون حاجة أحدها إلى الآخر لإتمام فائدة معناه.

ومنه قول المرقش الأكبر:

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

وقول الشاعر:

إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمةُ الله زيتُ

فإذا أشرقتْ فإنك حيٌّ وإذا أظلمتْ فإنك ميْتُ

وقول الشاعر:

الخدُّ وردٌ والعِذارُ رياضٌ والطرْفُ ليلٌ والبياضُ نهارُ

٣- **تشبيه التسوية:** هو أن يتعدد المشبه ويكون المشبه به واحداً. وقد عرفه القزويني، فقال: " وإن تعدد طرفه الأول أعني المشبه دون الثاني سمي تشبيه التسوية". وقد ضرب له مثالاً قول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

يتضمن البيت الأول تشبيهاً تكون طرفه الأول من مشبهين هما: صدغ الحبيب، وحالي، وجاء المشبه به واحداً وهو الليالي. ويتشكل البيت الثاني من البنية نفسها، إذ جاء المشبه متعدداً من مشبهين هما: الثغر، والأدمع، وجاء المشبه به واحداً هو(اللآلي).

٤- **تشبيه الجمع:** هو أن يكون المشبه في التشبيه واحداً، والمشبه به متعدداً. وقد عرفه القزويني في قوله: "إن تعدد طرفه الثاني،

أعني المشبه به دون الأول سمي تشبيه الجمع" كقول البحتري:

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

فالتشبيه هنا جاء مكوناً من مشبه واحد (يبسم) ومن مشبه به متعدد من ثلاثة عناصر لا يحتاج أحدها إلى الآخر في الشبه الذي يقدمه في التشبيه، هذه المشبهات بها هي: لؤلؤ منضد، وبرد، وأقاح.

وكما في قول السياب في قصيدة (أغنية في شهر آب)

وكأن الليل قطيع نساءٍ

كحلٌ وعباءاتٌ سودُ.

وكما في قوله في قصيدة (غريب على الخليج):

صوت تفجّر في قرارة نفسي الثكلى: عراق،

كالمدّ يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون.

وكما في قول محمود درويش:

رأيتك ملء ملح البحر والرملِ

وكنتِ جميلة كالأرض.. كالأطفال.. كالقبل.

بنية الطرفين الإفرادية والتركيبية :

١- تشبيه طرفاه مفردان:

هو الذي يكون كل طرف فيه مفرداً. وليس الإفراد، هنا، ما يقابل المثنى أو الجمع كما هو في علم النحو، وإنما في البيان هو الصورة البسيطة التي تتكون من أمر واحد، والتي تقابل الصورة المركبة من أكثر من أمر واحد . كما في قول البحتري:

ما زلت بحراً لعافينا فكيف وقد قابلتنا ولك الدنيا بما فيها

المشبه في البيت المخاطب بالضمير المتصل بـ(ما زلت) وهو مفرد، والمشبه به (بحراً) وهو مفرد أيضاً، وكل منهما يشكل صورة بسيطة.

الطرفان المفردان المقيدان:

وقد يكون الطرفان مقيدين، أو يكون أحدهما مقيداً والآخر غير مقيد، ويكون القيد دالاً على وجه الشبه. والقيد قد يكون شبه جملة أو حالاً أو صفة أو مضافاً إليه، ويمكننا أن نلحظ القيود فيما تحته خط مما جاء في الشواهد الآتية:

من أمثلة الطرفين المقيدين قولهم: (الساعي في غير طائل كالراقم على الماء)، و (علم لا ينفع كدواء لا يَنْجع)، و(الكلمة الصعبة المفيدة كالدواء المرّ)، و(الولد العاق كجمر الغضا)، و(العلم في الصغر كالنقش في الحجر).

ومن أمثلة المشبه غير المقيد والمشبه به المقيد قول الخنساء:

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

ومنها (الثغر كاللؤلؤ المنظوم)

ومن أمثلة المشبه المقيد والمشبه به غير المقيد:(الشعر الأسود كالليل).

٢- تشبيه طرفاه مركبان:

هو الذي يكون فيه كل من المشبه والمشبه به تركيباً أو صورة مركبة، كما في قول ابن المعتز:

قَدِ انقَضَت دَولَةُ الصِيامِ وَقَد بَشَّرَ سُقمُ الهِلالِ بِالعيدِ

يَتْلُو الثُّرَيَّا كَفاغِرٍ شَرِهٍ يفْتَحُ فاهُ لأَكْلِ عُنْقُودِ

فصورة المشبه هي الهلال الذي يتبع مجموعة نجوم الثريا، وصورة المشبه به هي الإنسان الجائع الذي يفتح فمه ليأكل عنقوداً من العنب. فكما نلحظ أن كل طرف منهما يرسم صورة مركبة من مجموع أجزاء مترابطة على المستوى التركيبي ويقابل الطرف الآخر بهذا المجموع الصوري.

وكما في قول ابن المعتز أيضاً:

كَأَنَّ سَماءَها لَمّا تَجَلَّت خِلالَ نُجومِها عِندَ الصَباحِ

رِياضُ بَنَفسَجٍ خَضِلٍ نَداهُ تَفَتَّحَ بَينَهُ نَورُ الأَقاحي

وكما في قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

٣- تشبيه مفرد بمركب:

هو الذي يكون فيه المشبه مفرداً والمشبه به مركباً، كما في قول الشماخ :

وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل

المشبه هنا مفرد (الشمس) وأما المشبه به، فهو متكون من صورة المرآة التي تتحرك مرتعشة وفق ارتعاش كف المشلول.

ومنه قول الشاعر:

ويوم كإبهام القطاة مزين إلي صباه غالب لي باطله

وقول الصنوبري:

وكأن محمرّ الشقيـ ـق إذا تصوّبَ أو تَصَعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نشر ن على رماحٍ من زبرجد

٤- تشبيه مركب بمفرد:

هو الذي يكون فيه المشبه تركيباً والمشبه به مفرداً. كما في قول أبي تمام:

يا صاحِبَيَّ تَقَصَّيا نَظَرَيكُما تَرَيا وُجوهَ الأَرضِ كَيفَ تَصَوَّرُ

تَرَيا نَهاراً مُشمِساً قَد شابَهُ زَهرُ الرُبا فَكَأَنَّما هُوَ مُقمِرُ

يتشكل المشبه من صورة تتكون من النهار الذي سطعت فيه أشعة الشمس وخالطه زهر الروابي ، ويتشكل المشبه به من مفرد وهو مقمر.

أدوات التشبيه :

تشكل أدوات التشبيه المحور الرئيس الذي تقوم عليه العملية التشبيهية، سواء أكانت هذه الأدوات حاضرة في التشبيه أم غائبة عنه، ذلك لأن لأداة التشبيه فاعلية إنتاج المشابهة بين طرفي بنية التشبيه. وقد تعددت هذه الأدوات، فكل لفظ دل على مشابهة أو مماثلة أو على معنى المشابهة يندرج ضمن هذه الأدوات. وقد قسمها البلاغيون ثلاثة أقسام، هي:

١- حرفا التشبيه وهما (الكاف وكأنّ):

نحو قول الشاعر:

أنت كالبحر في السماحة والشمـ ـس علواً والبدر في الإشراق

وقول إبراهيم طوقان:

وطني أزفُّ لكَ الشَّبا به كأَنهُ الزَّهرُ النَّدي

٢- الأسماء، منها:

مثل، كقول عبد الله الجامع من البحرين:

فلم يك إلا كالفواق إذا بنا ومركبنا مثل النجوم الغواربه

ونحو، كقول عبد المحسن الصحاف:

من باع وردا على الفجاج ضيعه نحو البهائم والثيران من خبل

وشبْه، كقول المهلهل بن ربيعة:

إنّي وَجَدتُ زُهَيراً في مَآثِرِهِم شِبهَ اللُيوثِ إِذا اِستَأسَدتَهُم أَسِدوا

وكل الأسماء التي يمكن أن تشتق من المماثلة، نحو:

مضارع، كقول حفني ناصف:

أيا قاضِيَ الهوى ما الحكم فيمن أباحَ القلبُ فيه عن تراضي

فسلّ مضارعُ القمرين لحظاً عليه معْرباً أمـر المواضي

ومشاكه، كقول زهير بن أبي سلمى:

عَلَونَ بِأَنماطٍ عِتاقٍ وَكِلَّةٍ وِرادٍ حَواشيها مُشاكِهَةِ الدَمِ

ومماثل، كقول حسن حسني الطويراني:

وَمني بطيفه من خيال فإنني مماثل ذياك المنيع المحرّم

ومشابه، كقول المؤمل بن أميل المحاربي:

هو المَهدِيُّ إلا أَنَّ فيه مُشَابِهَ صُورةِ القَمرِ المُنيرِ

وسيان، كقول ابن المعتز:

وَلا أُريدُ الهَوى إِن لَم يَكُن لِهَوى نَفسي وَبَعضُ الهَوى وَالمَوتُ سِيّانِ

وسواء، كقول علي محمود طه:

والمصابيحُ التي كان بها يُزهى المساءُ

خنقتْها قبضةُ الشرِّ فما فيها ذَماءُ

صبغوها بسوادٍ فهيَ والليلُ سواءُ

٣- الأفعال، منها :

يشبه، كقول ابن الرومي:

رأتْ عيني لمُنْكَرةٍ قواما ووجهاً يشبه البدرَ التماما

ويشابه، كقول أشجع السلمي:

أَصبَحتَ جارَ البَرمَكي يِ وَلَيسَ يَخشى الدَهرَ جارُه

بَدرٌ يُشابِهُ لَيلَهُ في ضوءِ جَدواهُ نَهارُه

ويضارع، كقول إبراهيم أطيمش:

صحيح لحظك معتل الجفون بدا يضارع السيف حدّاً فعل ماضيه

ويماثل ويحكي، كما في قول حافظ إبراهيم:

كَأَنّي أَرى في اللَيلِ نَصلاً مُجَرَّدا يَطيرُ بِكِلتا صَفحَتَيهِ شَرارُ

تُقَلِّبُهُ لِلعَينِ كَفٌّ خَفِيَّةٌ فَفيهِ خُفوقٌ تارَةً وَقَرارُ

يُماثِلُ نَصلي في صَفاءِ فِرِندِهِ وَيَحكيهِ مِنهُ رَونَقٌ وَغِرارُ

ويشاكه، كقول ابن دراج القسطلي:

وأَبْرَزَتِ الجوزاءُ صدرَ زُهُرُّدٍ مُحَلَّى بأفذاذٍ من الدُّرِّ والوَدْعِ

يُشاكِهُ زَهْرَ الروضِ فِي ماتِعِ الضُّحى عَلَى بَوْنِ مَا بَيْنَ التَّرَفُّعِ والوَضْعِ

تدريبات :

١- عُدْ إلى الشواهد البلاغية التي وردت في الحديث عن بنية طرفي التشبيه التعددية وحدد ما في الطرفين من إفراد وتركيب.

٢- عُدْ إلى الشواهد البلاغية التي وردت في الحديث عن بنية طرفي الإفرادية والتركيبية وحدد ما في الطرفين من تعدد وإفراد.

٣- عُدْ إلى الشواهد البلاغية التي وردت في الحديث عن بنية طرفي التشبيه التعددية والإفرادية والتركيبية وعين أدوات التشبيه فيها.

٤- عُدْ إلى الشواهد البلاغية التي وردت في الحديث أدوات التشبيه وحدد ما في الطرفين من إفراد وتعدد وتركيب.

المحاضرة الثالثة

التشبيه (٣)

عناصر المحاضرة :

أولاً- وجه الشبه: أقسامه.

ثانيًا- أقسام التشبيه من حيث الأداة ووجه الشبه.

وجه الشبه :

أدركنا عند حديثنا عن حدّ التشبيه أن طرفي التشبيه يجتمعان على معنى أو معاني متعددة، تشكل هذه المعاني الصفات المشتركة بينهما، وهذا هو وجه الشبه الذي تحدث عنه البلاغيون. فهو إذن الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه يلتقيان فيها ويفترقان في غيرها، فالحمرة مثلاً صفة مشتركة بين طرفي التشبيه: الخد كالوردة. وفي العادة تكون الصفة في المشبه به أظهر منها في المشبه. لذلك يؤتى بالمشبه به لإظهار هذه الصفة في المشبه.

ووقف البلاغيون على وجه الشبه طويلاً بوصفه الصفة التي ينعقد عليها التشبيه والتي تقوم عليه العملية التشبيهية للوصول بالتشبيه إلى إدراك مرحلة الصورة التي تجمع طرفيه في صورة واحدة. ونظروا فيه من وجوه متعددة، فقسموه أنواعاً مختلفة.

أقسام وجه الشبه :

١- وجه الشبه الحسي. ٢- وجه الشبه العقلي. ٣- وجه الشبه المفرد. ٤- وجه الشبه المتعدد.

٥- وجه الشبه المركب. ٦- وجه الشبه التحقيقي. ٧- وجه الشبه التخييلي.

١- وجه الشبه الحسي:

كما في قول القُشيري:

وتأْخذُه عند المكارم هِزَّةٌ كما اهتز تحت البارحِ الغصنُ الرَّطِبُ

فوجه الشبه هنا هيئة الحركة وهو يدرك بحاسة البصر.

وكما في قول الشاعر:

فكأن البرق مصحف قارٍ فانطباقاً مرةً وانفتاحا

وكما في قول شاعر:

غزالٌ فوق ما أصفُهُ كأنّ قوامه ألفه

٢- وجه الشبه العقلي.

كما في قول أبي نواس:

وقدْ صار هذا الناسُ إلا أقلَّهم ذئاباً على أجسادهن ثيابُ

وجه الشبه هنا الوحشية والوحشية تدرك بالعقل.

وكما في قول الشاعر:

ما زلت بحراً لعافينا وقد قابلتنا ولك الدنيا بما فيها

وجه الشبه الكرم وهو يدرك بالعقل.

وكما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم". وجه الشبه هنا الهداية وهي تدرك بالعقل.

٣- وجه الشبه المفرد: وهو ما كان متولداً من أمر واحد.

كما في قول:

أنت كالبدر في السماحة والشمـ ـس علواً والبدر في الإشراق

وقول الشاعر:

ما زلت بحرًا لعافينا فكيف وقد قابلتنا ولك الدنيا بما فيها

٤- وجه الشبه المتعدد: هو الذي يتكون من أكثر من عنصر من غير أن يكون داخلاً في تركيبه، ولا انتزاع هيئة، ويكون كل عنصر منفصلاً عن غيره ومستقلاً؛ بمعنى أن كل أمر منها، لو اقتصر عليه كفى في التشبيه.

كما في قول أبي بكر الخالدي:

يا شبيه البدر حسناً وضياءً ومنالا

وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالا

أنت مثل الورد لوناً ونسيماً ومَلالا

وكما في الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغربا

٥- وجه الشبه المركب:

وهو الذي يكون متولداً من أمرين أو عنصرين فأكثر بحيث يحتاج كل واحد منها الآخر لاكتمال وجه الشبه.

كما في قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وجه الشبه هنا هو هيئة منتزعة من طرفين مركبين وهي هيئة شيء مظلم يتخلله شيء أبيض لامع متحرك، ولا شك في أن هذا الوجه يتكون من أكثر من عنصر ويحتاج كل واحد منها للآخر حتى يكتمل هذا الوجه.

وكما في قول المتنبي:

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

٦- وجه الشبه التحقيقي:

المراد بالتحقيق هنا هو أن تكون الصفة المشتركة في كل من الطرفين على وجه التحقيق أو الحقيقة.

كما في قوله تعالى: "وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام".

فوجه الشبه هنا عظم الحجم وضخامته، وهو متوفر في المشبه (الجواري) وفي المشبه به (الأعلام).

وكما في قول الشاعر: ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شَعرٌ ووجهٌ وقَدٌّ

خمرٌ ودرٌّ وورْدٌ ريقٌ وثغرٌ وخدّ

فالسواد متحقق في الليل والشعر، والاستدارة متحققة في البدر والوجه، والاستقامة متحققة في الغصن والقد، وطيب المذاق متحققة في الخمر والريق، والبياض متحقق في الدر والثغر، والحمرة متحققة في الورد والخد.

٧- وجه الشبه التخييلي:

المراد بالتخييلي هنا هو أن تكون الصفة المشتركة أي وجه الشبه لا يمكن تحققه في المشبه أو المشبه به إلا على وجه التخييل لا على وجه التحقيق أو الحقيقة، ولا بد لإدراكه من التأويل والتخييل.

كما في قول القاضي التنوخي:

وكأن النجوم بين دجاها سَنَنٌ لاح بينهن ابتداعُ

وجه الشبه هنا هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيضاء في جوانب أشياء سوداء مظلمة، إن هذا الوجه غير متحقق في المشبه به بغض النظر عن تحققه في المشبه.

ومثاله قول أبي طالب الرقي:

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشقِ

وجه الشبه هنا هو السواد ولا بد من تخيله في المشبه بهما (يوم النوى) و(فؤاد من لم يعشق).

وكقول الشاعر:

كلاهما كالليالي صدغ الحبيب وحالي

أقسام التشبيه من حيث الأداة في الذكر والحذف :

ينقسم التشبيه من حيث أداته في الذكر والحذف الى قسمين هما:

١- التشبيه المرسل: هو التشبيه الذي ذكرت فيه الأداة، نحو قول الشاعر:

وتراه في ظلِّ الوغى فتخاله قمراً يكر على الرجال بكوكبِ

٣- التشبيه المؤكد: هو التشبيه الذي حذفت فيه الأداة، نحو قول الشاعر:

هو البحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهم بُهمُ

أقسام التشبيه من حيث وجه الشبه في الذكر والحذف :

ينقسم التشبيه من حيث وجهه في الذكر والحذف الى قسمين هما:

١- التشبيه المفصل: هو التشبيه الذي ذكر فيه وجه الشبه، نحو قول الشاعر:

أنت كالبحر في السماحة والشمس علواً والبدر في الإشراق

٢- التشبيه المجمل: هو التشبيه الذي حذف فيه وجه الشبه، نحو قول الشاعر:

وكأنّ إيماضَ السيوفِ بوارقٌ وعَجاجَ خيلهم سحابٌ مظلمُ

أقسام التشبيه من حيث الأداة ووجه الشبه معاً في الذكر والحذف :

ينقسم التشبيه من حيث أداته ووجه الشبه في الذكر والحذف أربعة أقسام، هي:

١- التشبيه التام (المرسل المفصل): هو الذي تذكر فيه الأداة ووجه الشبه، نحو قول الشاعر:

كأنّ مشيتها من بيت جارتها مرّ السحابة، لا ريث ولا عجلُ

٢- التشبيه البليغ (المؤكد المجمل): هو الذي تحذف فيه الأداة ووجه الشبه، نحو قول الشاعر:

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطرافه الأكف عنم

٣- التشبيه المرسل المجمل: نحو قول الشاعر السري الرفاء في وصف شمعة:

مفتولة ممدولة تحكي لنا قدَّ الأسلْ

كأنما عمر الفتى والنارُ فيها كالأجلْ

٤- التشبيه المؤكد المفصل: نحو قول الشاعر:

هو البحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهم بُهمُ

تدريبات :

س١- بين وجه الشبه في الشواهد الآتية وحدد نوعه من حيث الحسي والعقلي والإفراد والتعدد والتركيب والتحقيق والتخييل الآتية:

- كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
- ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شَعرٌ ووجهٌ وقَدُّ
- تبسّمٌ وقطوبٌ في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد
- بَدَتْ قمراً ومالَتْ غُصنَ بانٍ وفاحَتْ عنبراً ورنَتْ غَزَالا
- إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمةُ اللهِ زيتُ
- فإذا أشرقتْ فإنك حيٌّ وإذا أظلمتْ فإنك ميتُ

س٣- بين نوع التشبيهات الآتية من حيث وجه الشبه أو الأداة أو الأداة ووجه الشبه معاً فيما يأتي من شواهد بلاغية:

- الخدُّ وردٌ والعِذارُ رياضٌ والطرْفُ ليلٌ والبياضُ نهارُ

- صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالـي

وثغره في صفـاء وأدمعي كاللآلـي

- وكأن الليل قطيع نساءْ

كحلٌ وعباءاتٌ سودُ.

- رأيتك ملء ملح البحر والرملِ

وكنتِ جميلة كالأرض.. كالأطفال.. كالفل.

المحاضرة الرابعة

عناصر المحاضرة :

أولاً- تشبيه التمثيل. ثانياً- التشبيه المقلوب. ثالثاً- التشبيه الضمني. رابعاً- أغراض التشبيه.

أولاً- تشبيه التمثيل :

يأتي تشبيه التمثيل من قبيل وجه الشبه الذي يكون منتزعاً من متعدد أي من تشبيه صورة مركبة بصورة مركبة. ويعني التركيب هنا ما كنا نتحدث عنه في تركيب طرفي بنية التشبيه.

- مثاله قول الشاعر:

كأنما المريخ والمشتري قدّامه في شامخ الرفعهْ

مُنْصرفٌ بالليل عن دعوة قد أُسْرجت قُدّامه شمْعهْ

يتضمن البيت الأول المشبه وهو (المريخ والمشتري الذي يسير أمامه) ويتضمن البيت الثاني المشبه به (منصرف عن دعوة وقد أشعلت أمامه شمعة ليلاً) إن كل طرف من طرفي التشبيه هنا تركيب أو صورة لذا ينشأ عنهما وجه شبه يجعل التشبيه تشبيهاً تمثيلياً، هذا الوجه هو هيئة شيء أبيض لامع وسط شيء أسود مظلم وقد تقدم شيئاً أبيض لامعاً أيضاً.

- ومثاله أيضاً قول شاعر يمدح فارساً:

وتراه في ظلم الوغى فتخاله قمراً يكر على الرجال بكوكب

يتضمن المشبه هنا صورة الفارس وبيده سيف لامع يتخلل غبار المعركة ويتضمن المشبه به صورة القمر الذي يتخلل ظلمة السماء وقد اتصل به كوكب مضيء. ومن هنا ينشأ وجه الشبه هيئة مشكلة من شيء مضيء لامع يبدي شيئاً متلألئاً في وسط شيء أسود مظلم.

- ومثاله كذلك قول الشاعر:

كأنه وكأن الكأس في فمه هلالُ أول شهر غاب في شفقِ

يتضمن المشبه هنا صورة إنسان وقد دخل بعض الكأس في فمه، ويتضمن المشبه به صورة القمر وقد غاب جله في ظلمة السماء فما بقي منه سوى جزء مقوس مضيء. ومن هنا ينشأ وجه الشبه الذي هو هيئة مشكلة من شيء مقوس مضيء لامع وسط شيء غير لامع.

- وكما في قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبهْ

لعلنا نلحظ أن وجه الشبه هنا هو شيء لامع متحرك وسط شيء أسود مظلم.

- وكما في قوله تعالى: "مَثَلُ الذين حُمّلوا التوراةَ ثم لم يحملوها كمثَل الحمار يحمل أسفاراً".

لعلنا نلحظ هنا أن وجه الشبه هو صورة مَنْ هُيّئت له نفائس الأشياء فلم يزدد بها إلا تعباً وخسارة.

- وقول ابن المعتز:

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شـــره يفتح فاه لأكل عنقود

- وقول ابن الرومي:

أول بدء المشيب واحدة تشعل ما جاورت من الشَّعَرِ

مثلُ الحريق العظيم تبدؤه أوّلَ صـولٍ صغيرةُ الشّررِ

التشبيه غير التمثيلي.

يقابل تشبيه التمثيل تشبيهاً غير تمثيلي وهو ما كان فيه وجه الشبه عكس ما يكون في تشبيه التمثيل؛ أي يكون وجه الشبه منتزعاً من غير مركبين ولا يكون وجهاً مركباً، وهذا لا يتعارض مع تعدد وجوه الشبه التي لا تشكل تركيباً.

- مثاله قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

وجه الشبه هنا هو شيء أسود ممتد. وهو وجه شبه مفرد لا تركيب فيه.

وأمثلة هذا النوع كثيرة فيما تقدم من شواهد التشبيه في المحاضرتين الأخيرتين قبل هذه المحاضرة.

ثانياً- التشبيه المقلوب :

التشبيه المقلوب هو جعل المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً من أجل المبالغة في صفات المشبه. وهذا يعني قلب بنية التشبيه المألوفة، وهي التي تأتي على وفق الأصول والفروع، الأصول تعني ما اعتاد العرب على أن تكون مشبهات بها، والفروع مشبهات ، فقولنا: (محمد كالأسد في الشجاعة) مبني على أن محمداً (فرع) مشبه وأسداً (أصل) مشبه به، فلو قلنا: (الأسد كمحمد في الشجاعة) لقلبنا البنية، فتكون عندئذ تشبيهاً مقلوباً.

- مثاله قول البحتري:

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها

في البيت تشبيهان شبه الشاعر في الأول طلعة البدر وهو أصل بمحاسن المحبوبة وهي فرع، وفي التشبيه الثاني شبه ما في القضيب من ليونة الحركة وهو أصل بما في المحبوبة من تثنٍ وليونة، ولا شك في أن هذه البنية تبالغ في صفات المحبوبة.

- وكما في قول ابن المعتز:

ولاح ضوء قُمير كاد يفضحنا مثلَ القُلامة قد قُدّت من الظّفُرِ

- وقوله:والصبحُ في طرّة ليل مسفر كأنه غرّة مُهر أشقر

- وقول محمد بن وُهَيْب الحميري في مدح المأمون:

وبدا الصباح كأن غرّتَه وجه الخليفة حين يمتدح

- وقول البحتري:

كأن سناها بالعشيّ لصبحها تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

- وقول شاعر:

أجِنُّ لهم ودونهم فلاة كأن فسيحها صدر الحليم

ثالثاً- التشبيه الضمني:

لا يأتي هذا التشبيه في صورة من صور التشبيه المعروفة، إذ لا ينص على المشبه والمشبه به صراحة، بل يلمحان في البنية التركيبية التي تتضمنه، وكذلك الحال في الأداة فإنها لا تذكر في هذا التركيب ولا يجوز تقديرها كما هي الحال في التشبيه غير الضمني، وهذا الضرب من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.

- مثاله قول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جَدّ جِدُّهم وفي الليلة الظلماء يُفْتقد البدر

يقول الشاعر هنا: إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه، ويرى أن البدر يفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام، لا شك في أن الشاعر هنا يطرق معنيين كل واحد منهما يمثل حالاً من الأحوال ولعلنا نلحظ أن ثمة تشابهاً بين هاتين الحالتين فالشيء (الشاعر والبدر) يحتاج إليه في حالة الشدة والضيق (الجد والليلة الظلماء). وهذه هي حالة التشبيه الضمني.

- ومثاله كذلك قول البحتري:

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم وللسيف حدّ حين يسطو ورونقُ

- وقول ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يُرى النَّورُ في القضيب الرطيبِ

- وقول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب على المكان العالي

- وقول أبي العتاهية:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها؟ إن السفينة لا تجري على اليبَسِ

رابعاً- أغراض التشبيه :

عرفنا فيما تقدم أن التشبيه طريقة من طرائق التعبير عن المعاني وأن هذه الطريقة تعتمد على استدعاء معاني للتعبير عن معاني أخرى؛ أنها تستدعي المشبه به لتعبر عن معنى المشبه ولذلك فإن للمعبر بالتشبيه أغراضاً مختلفة باستدعاء المشبه به، من هذه الأغراض:

١- بيان إمكان وجود المشبه: يتحقق هذا الغرض عندما يكون في المشبه أمر مستغرب، فيؤتى بالمشبه به ليزول هذا الاستغراب. - كما في قول المتنبي:

فإن تَفُقِ الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

لعلنا نلحظ هنا أن التشبيه ضمني؛ إذ ادعى المتنبي أن الممدوح (المشبه) مباين لأصله من الجنس البشري بصفات وخصائص حقيقية متفردة، وهذا الادعاء غريب لأن الناس متشابهون في صفاتهم وخصائصهم وليزيل هذا الاستغراب أتى بالمشبه به الذي يثبت أن المسك وإن كان يختلف عن دم الغزال في صفاته فإنه منه، والمتنبي بهذا يزيل غرابة المشبه.

- وكما في قول البحتري:

دانٍ إلى أيدي العفاة وشاسع عن كل ندّ في الندى وضريبِ

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جِدّ قريبِ

- وكقول الشاعر أيضاً:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يُرى النور في القضيب الرطيبِ

٢- بيان حال المشبه: يتحقق هذا الغرض حينما يكون المشبه مجهول الصفة غير معروفها قبل التشبيه.

- كما في قول قول النابغة الذبياني:

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعتَ لم يبدُ منهن كوكبُ

لعلنا ندرك أن التشبيه يتحدث عن صفة عظمة الممدوح بين الملوك (المشبه) وقد كانت مجهولة غير معروفة قبل توضيحها بالمشبه به.

- وقول ابن الرومي:

حِبْرُ أبي حفص لعابُ الليل يسيل للإخوان أيَّ سيلِ

٣- بيان مقدار حال المشبه: يتحقق هذا الغرض عندما يكون المشبه معروف الصفة معرفة إجمالية؛ لذا يسعى القائل إلى بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان.

- كما في قول المتنبي يصف أسداً:

ما قوبلت عيناه إلا ظُنّتا تحت الدجى نار الفريق حلولا

يصف المتنبي هنا عيني الأسد المحمرتين في الدجى، ولبيان مقدار هذا الاحمرار جاء بالمشبه به وهو النار.

- وكما في قول عنترة:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسود.

- وقول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها مرّ السحابة لا ريث ولا عجل

٤- تقرير حال المشبه في نفس السامع: يتحقق هذا الغرض عندما يكون المشبه محتاجاً إلى تأكيد وتوضيح ليكون أثبت في نفس السامع.

- كما في قول الشاعر:

إن القلوبَ، إذا تنافر ودُّها مثلُ الزجاجة كسرها لا يجبرُ

أراد الشاعر هنا أن يوضح القلوب المتنافرة ويؤكدها بكسر الزجاج وهو المشبه به وهذا يقوي المعنى في ذهن السامع.

- وكما في قول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

٥- تزيين المشبه: يتحقق هذا الغرض عندما يريد القائل تحسين صورة المشبه والترغيب به.

- كما في قول الشاعر يصف زنجية:

سوداء واضحة الجبين ... من كمقلة الظبي الغرير

شبه الشاعر هنا سواد المرأة بسواد مقلة الظبي وذلك تحسيناً لها وتحبيباً لها إلى النفوس.

- وكما في قول أبي الحسن الأنباري في رثاء مطلوب:

مددتَ يديك نحوهم احتفاء ... كمدّهما إليهم بالهباتِ

يشبه الأنباري هنا مدَّ يدي المطلوب والناس حوله بمد ذراعيه بالهبات للسائلين أيام حياته. فالمشبه هنا أمر تنفر منه النفوس لذا أراد الشاعر أن يزين قبحه بالمشبه به.

٦- تقبيح المشبه: يتحقق هذا الغرض عندما يكون المشبه قبيحاً فيأتي القائل بما يزيده قبحاً.

- كما في قول أعرابي في ذم امرأة:

وتفتح- لا كانت- فماً لو رأيتَه ... توهمتَه باباً من النار يُفْتَحُ

يرى الأعرابي قبح فم المرأة فجاء بمشبه به وهو باب جهنم ليزيده قبحاً.

- وكما في قول المتنبي في الهجاء:

وإذا أشار محدثاً فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

تدريبات :

س١- بين أغراض التشبيهات في الشواهد الشعرية الآتية:

- كأنما المريخ والمشتري ... قدّامه في شامخ الرفعهْ

مُنْصرفٌ بالليل عن دعوة ... قد أُسْرجت قُدّامه شمْعهْ

- وتراه في ظلم الوغى فتخاله ... قمراً يكر على الرجال بكوكب

- أول بدء المشيب واحدة ... تشعل ما جاورت من الشَّعَرِ

مثلُ الحريق العظيم تبدؤه ... أوّلَ صولٍ صغيرةُ الشّررِ

- ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم وللسيف حدّ حين يسطو ورونقُ

- قد يشيب الفتى وليس عجيباً ... أن يُرى النَّورُ في القضيب الرطْيبِ

- لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب على المكان العالي

- ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها؟ إن السفينة لا تجري على اليبَسِ

س٢- مثل بشواهد شعرية ونثرية غير ما ورد في المحاضرات المتقدمة من محاضرات التشبيه لكل من التشبيه التمثيلي، والتشبيه الضمني، والتشبيه المقلوب.

المحاضرة الخامسة

الحقيقة والمجاز

عناصر المحاضرة :

أولاً- الحقيقة والمجاز: مفهومهما، أقسام المجاز.

ثانياً- المجاز العقلي: مفهومه، وأقسامه.

الحقيقة :

وقفت البلاغة العربية من اللغة في الاستعمال على جهتين متقابلتين هما الحقيقة والمجاز ، فنظرت إلى مفردات اللغة وتراكيبها من جهة المفردة من حيث موافقتها لما وضعت له أو مخالفتها لهذا الوضع، وقررت أن المفردة إذا استخدمت لما وضعت له من معاني أو مدلولات، فإنها عندئذ تكون قد استعملت في دائرة الحقيقة؛ كما في استعمال كلمة (قلم) في جملة (هذا قلم) وهي تدل على ما نكتب به أو ما نخط به، وعلامة التواضع في الاستعمال هي ما تعارف الناس على أن يدل على مدلول خاص تستخدم له المفردة، وأما إذا استعملت الكلمة في غير ما تواضع عليه الناس، فإنها عندئذ تغادر دائرة الحقيقة لتدخل دائرة المجاز، فيصبح الاستعمال عندئذ استعمالاً مجازيًا للمفردة فتكون مفردة مجازية.

مفهوم الحقيقة والمجاز :

والواقع أن الدارسين للبلاغة قد وقفوا على تصورات اللغة في دائرتيها الحقيقة والمجاز ، ووضعوا حدودًا تضبط مفهوم كل مصطلح منهما، إذ يعرف السكاكي الحقيقة في قوله: "الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع"وحدها مرة أخرى بقوله "ولك أن تقول الحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة" فالحقيقة، إذن، هي كلمة دالة على مدلولها الذي تشير إليه مباشرة دون أن نلجأ إلى التأوّل. ويعرّف المجاز في قوله: "أما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع".

أقسام المجاز :

قسم البلاغيون المجاز قسمين:

١- المجاز العقلي:

٢- المجاز اللغوي: وهو ينقسم قسمين:

أ- المجاز المرسل.

ب- الاستعارة.

أمثلة:١- طلعت الشمس.

٢- ضحكت الشمس.

٣- أمطرت السماء رزقاً.

٤- جرى النهر.

مفهوم المجاز العقلي :

المجاز العقلي. وأسماه البلاغيون أيضاً المجاز الحكمي، والإسناد المجازي.

عرفه القزويني: " هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل". ويمكننا أن نعرفه أيضاً بأنه إسناد الفعل أو ما يأتي بمعناه إلى غير فاعله الأصلي لعلاقة بينه وبين الفاعل الأصلي علاقة غير المشابهة مع قرينة عقلية دالة على ذلك.

مثاله:

جرى النهر.

مشيت في غابة غناء.

مصطلحات تستخدم في دروس المجاز بأنواعه الثلاثة:

العلاقة : هي الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي (الأصلي) والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأول إلى الثاني، وهذه العلاقة التي تربط في المجاز بين المعنيين : الحقيقي والمجازي قد تكون المشابهة كما في الاستعارة وقد تكون غير المشابهة كما في المجازين العقلي والمرسل.

القرينة : هي الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، وهي إما قرينة عقلية أي حالية ، وإما قرينة لفظية.

علاقات المجاز العقلي :

1-العلاقة المحلية: هي أن يذكر المتكلم محل الشيء يريد به الحالّ فيه.

مثاله قوله تعالى: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٢٥} (البقرة)، الشاهد في هذه الآية الكريمة هو في قوله : " تجري من تحتها الأنهار"؛ ذلك أن الصياغة القرآنية أسندت الفعل إلى فاعله غير الحقيقي، إذ إن الفاعل الحقيقي هو (مياه)، فالأصل أن تكون الصياغة (تجري من تحتها مياه الأنهار) ، وبهذا تكون الصياغة القرآنية قد أحلت المحلّ مكان الحالّ فيه، فعلاقته المحلية.

- ومثاله قول الشاعر:

إن الديار تريق ماء شئونها كالأمهات وتندب الأحياء

نلمح في هذا الشاهد موضعين للمجاز العقلي هما:

الأول- (تُريق). إن هذا الفعل مسند إلى الفاعل (هي) الذي يعود إلى دال (الديار) وهو محل للناس الحالين فيه وهو الفاعل الأصلي لهذا الفعل، فالناس القاطنون فيها هم الذين يريقون ماء شئونهم. والعلاقة بين الديار والقاطنين فيها علاقة المحل.

الثاني- (تندب).أسندت الصياغة الشعرية الفعل (تندب) إلى دال (الديار) وهو غير فاعله الأصلي والفاعل الأصلي هو (القاطنون) في الديار، والعلاقة بين الديار والقاطنين فيها علاقة المحل.

- ومثاله قول الشاعر:

ملكنا فكان العفوُ منا سجيةً فلما ملكتم سال بالدم أبْطَحُ

- ومثاله قولنا: جلسنا إلى مشرب عذب.

٣- العلاقة الزمنية: هي أن يذكر المتكلم زمان الشيء ويريد به ما فيه.

مثاله قوله تعالى: {وَالضُّحَى {١} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى {٢}} (الضحى)

أسندت الصياغة القرآنية الفعل (سجا) إلى غير فاعله الأصلي (الليل) والأصل أن يسنده إلى فاعله الأصلي وهو (الكائنات الحية التي تعيش زمن الليل) لعلاقة الزمانية.

- ومثاله قول الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

- ومثاله أيضاً قوله تعالى: "فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً".

٣- العلاقة السببية: وهي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى سببه.

- كما في قوله تعالى: "يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسبابَ السموات".

إن إسناد الفعل (ابن) إلى الفاعل هامان مجاز عقلي علاقته السببية؛ لأن هامان لا يبني الصرح بنفسه وإنما يبنيه عماله فكان هامان سبباً في الفعل أو البناء.

- ومثاله قول الشاعر:

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة: ألا أين المحامونا؟

- وقوله تعالى: "وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً".

٤- العلاقة المفعولية: وهي إسناد الوصف المبني للفاعل إلى المفعول؛ أي يستعمل اسم الفاعل والمقصود اسم المفعول.

- مثاله قوله تعالى: "أو لم نمكن لكم حرماً آمناً".

إن لفظ اسم الفاعل (آمناً) أطلق على الحرم والحرم لا يكون آمناً وإنما يكون مأموناً. وهذا من الإسناد المجازي.

- ومنه قول الشاعر:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم.

- وقول النابغة الذبياني:

فبتّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمّ ناقع

٥- العلاقة الفاعلية: وهي إسناد الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل؛ أي يستعمل اسم المفعول والمقصود اسم الفاعل.

- مثاله قوله تعالى: "إنه كان وعده مأتياً".

إن لفظ اسم المفعول (آمناً) أطلق على وعده والوعد لا يؤتى وإنما يكون آتياً. وهذا من الإسناد المجازي ذي العلاقة الفاعلية.

- وقوله تعالى: "وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً".

٦- العلاقة المصدرية: وهي إسناد الفعل إلى مصدره.

- مثاله قول الشاعر:

سيذكرني قومي إذا جَدّ جَدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

- وقوله تعالى: "فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة".

- وقول الشاعر:

تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها إذا لم يعودها برقية طالب

تدريبات :

اقرأ الشواهد الآتية وبين ما فيها من مجاز عقلي وأجره مبيناً نوع علاقته:

- أعمير إن أباك غيّر رأسه مرُّ الليالي واختلاف الأعصر
- يغني كما صدحت أيكة وقد نبَّه الصبحَ أطيارُها
- لها وجه يصفه الحسنَ.
- والهمُّ يخترم الجسيم نحافة ويُشيب ناصية الصبي ويُهرِمُ
- ضرب الدهر بينهم وفرق شملهم.
- كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا
- ربما تحسن الصنيع لياليـ ـه ولكن تكدر الإحسانا

المحاضرة السادسة

المجاز المرسل

عناصر المحاضرة :

المجاز المرسل: مفهومه. أنواع علاقاته.

مفهوم المجاز المرسل :

المجاز المرسل: هو مجاز لغوي، علاقته غير المشابهة.

تعريفه: هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي، لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

سمي المجاز المرسل مرسلاً لإرساله عن التقيد بعلاقة المشابهة.

مثاله قوله تعالى: "واركعوا مع الراكعين".

أطلقت الصياغة القرآنية لفظ (اركعوا) وأرادت (صلوا) والقرينة الدالة على هذا قرينة عقلية تنتمي إلى ثقافتنا الإسلامية لأن الأمر يكون بالصلاة لا بالركوع. وعلاقة الركوع بالصلاة علاقة الجزء بالكل.

علاقات المجاز المرسل :

للمجاز المرسل علاقات متعددة منها:

1- العلاقة السببية: وهي إطلاق لفظ السبب أي المُسَبِّب وإرادة المُسَبَّب.

- مثاله قول المتنبي:

له أيادٍ عليَّ سابغة أعد منها ولا أعددها

أطلق الشاعر لفظ (أياد) بدلاً من لفظ النعم أو العطايا التي يقدمها الممدوح، والقرينة الدالة على هذا لفظية هي (سابغة) والعلاقة بين (أياد) و(النعم) هي علاقة السببية؛ لأن الأيادي سبب في النعم.

- ومثاله قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

- ومثاله أيضاً قوله تعالى: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه".

- ومثاله قولهم: رعينا الغيث.

٢- العلاقة المُسَبَّبِيَّة: وهي إطلاق لفظ المُسَبَّب وإرادة السبب.

- كما في قوله تعالى: "وينزل لكم من السماء رزقاً".

أطلقت الصياغة القرآنية لفظ (رزقاً) وأرادت (غيثاً) والقرينة الدالة على هذا قرينة لفظية هي (السماء)، ونوع العلاقة هي العلاقة المُسَبَّبِيَّة.

- وكما في قوله تعالى: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً".

- وكما في قول الشاعر:

أقطفه الغيث فتحيا أمنياتي والسما تمطر رزقاً عم شعبهْ

٣- العلاقة الجزئية: هي إطلاق لفظ الجزء وإرادة الكل.

- كما في قول الشاعر:

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

أطلق الشاعر لفظتي (القوافي وقافية) وأراد الشعر والقرينة الدالة عليه قرينة لفظية هي (نظم) والعلاقة هي علاقة الجزء بالكل لأن القافية جزء من الشعر.

- ومثاله قول الشاعر: كم بعثنا الجيش جراراً وأرسلنا العيونا

- وكما في قوله تعالى: "فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها".

٤- العلاقة الكلية: هي إطلاق لفظ الكل وإرادة الجزء.

- كما في قول المتنبي:

أقمت بأرض مصر فلا ورائي تخب بي الركاب ولا أمامي

أطلق الشاعر لفظ الكل (أرض مصر) وأراد جزءاً منها لا كلها والقرينة لفظية هي (أقمت) والعلاقة علاقة الكلية.

- وكما في قوله تعالى: "قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزدهم دعائي إلا فراراً، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم".

- وكما في قوله تعالى: "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم".

٥- علاقة اعتبار ما كان: هي إطلاق لفظ ما كان عليه الأمر وإرادة ما يكون عليه.

- كما في قول ابن الرومي: لا أركب البحر إني أخافه منه المعاطبْ

طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

أطلق الشاعر لفظ ما كان عليه (طين) وأراد ما يكون عليه وهو ذاته أو نفسه (الإنسان) والقرينة لفظية (أنا). والعلاقة اعتبار ما كان.

- وكما في قوله تعالى: "إنه من يأتي ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا".

- وكما في قوله تعالى أيضاً: "وآتوا اليتامى أموالهم".

٦- علاقة اعتبار ما يكون: هي إطلاق لفظ ما يكون عليه الأمر وإرادة ما كان عليه.

- كما في قوله تعالى: "إني أراني أعصِر خمرًا".

أطلقت الصياغة القرآنية لفظ ما يكون عليه الأمر وهو (خمراً) وأرادت ما كان عليه وهو (العنب).

- وكما في قوله تعالى: "ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً. إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً أو كفاراً".

- وكما في قوله تعالى أيضاً: "فبشرناه بغلام حليم".

٧- العلاقة المحلية (المكانية): هي إطلاق لفظ المحل أو المكان وإرادة الحالّ فيه.

- كما في قول الشاعر:

واسألا القرية عنا: كيف كنا في روابيها ربيعاً ومحبهْ

أطلق الشاعر لفظ المحل (القرية) وأراد الحالّين فيها وهم (أهلها) والقرينة لفظية هي (واسألا).

- وكما في قول ابن الرومي:لا أركب البحر إني أخافه منه المعاطبْ

- وكما في قوله تعالى: "فليدع ناديه، سندع الزبانية".

٨- العلاقة الحالّيَّة: هي إطلاق لفظ الحال وإرادة المحل.

- كما في قوله تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم".

أطلقت الصياغة القرآنية لفظ الحال (نعيم) وأرادت المحل وهي (الجنة) والقرينة لفظية هي (الأبرار) لأن النعيم حال في الجنة.

- وكما في قول الشاعر:

ألمّا على معنٍ وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا

- وكما في قوله تعالى: "في رحمة الله هم فيها خالدون".

- وقول المتنبي:

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القِرى وعن الترحال محدود

٩- العلاقة الآلية: هي إطلاق لفظ الآلة وإرادة الأثر الذي ينتج عنها.

- كما في قوله تعالى: "واجعل لي لسان صدق في الآخرين".

أطلقت الصياغة القرآنية لفظ الآلة (لسان) وأرادت (كلاماً طيباً) أو (ذكراً طيباً) وهو الأثر الناتج من اللسان.

- وكما في قوله تعالى: "وأتوا به على أعين الناس".

- وكما في قوله تعالى أيضاً: "واصنع الفلك بأعيننا".

- وكما في قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه".

١٠- علاقة المجاورة: هي إطلاق لفظ الشيء وإرادة ما يجاوره.

- كما في قول عنترة بن شداد:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

أطلق الشاعر لفظ الثياب وأراد ما يجاورها وهو من لحم وعظم.

تدريبات :

اقرأ الشواهد الآتية وبين ما فيها من مجاز مرسل وأجره مبيناً نوع علاقته:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بُعيدَ الكرى عيناه تنسكبان

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

قال تعالى: "فتحرير رقبة مؤمنة".

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى".

المحاضرة السابعة

الاستعارة (١)

عناصر المحاضرة :

الاستعارة:

- مفهومها.
- قسما الاستعارة باعتبار أحد طرفيها.
- أقسام الاستعارة باعتبار الاشتقاق والجمود.

الاستعارة: هي لفظ استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي الذي وضع له.

أو هي تشبيه حذف أحد طرفيه مع قرينة مانعة من إيراد الطرف المحذوف.

يمكننا أن نتعرف هذين المفهومين من خلال الشاهد الآتي:

فلم أرَ قبلي من مشى البحرُ نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد

- اللفظ المستعار منه هو (البحر) وهو يساوي (المشبه به).

اللفظ المستعار له هو (الممدوح) وهو محذوف، ويساوي (المشبه).

وجامع الاستعارة هو (الكرم) وهو يساوي وجه الشبه في التشبيه.

القرينة الدالة على المحذوف (المستعار له) هو (مشى).

- اللفظ المستعار منه هو (الأسد) وهو يساوي (المشبه به).
- اللفظ المستعار له هو (الأبطال) وهو محذوف، ويساوي (المشبه).

وجامع الاستعارة هو (الشجاعة) وهو يساوي وجه الشبه في التشبيه.

القرينة الدالة على المحذوف (المستعار له) هو (تعانقه).

إجراء الاستعارة :

إجراء الاستعارة أمر مهم يكشف عن فهم الاستعارة من جوانبها المختلفة التي نتناولها في محاضرات الاستعارة، لذا علينا أن ندقق في العناصر التي نأتي عليها في هذا الإجراء، وحتى نسهل على أنفسنا كيفية هذا الإجراء نعود إلى إحدى الاستعارتين السابقتين ولتكن (البحر) إجروها على النحو الآتي:

ذكر الشاعر المشبه به أو المستعار منه وهو (البحر) وحذف المشبه أو المستعار له وهو (الممدوح) وأبقى شيئاً من لوازم المحذوف وهو قرينة لفظية هي (مشى) بجامع الكرم.

نلحظ هنا أربعة عناصر لا بد من ذكرها هي:

١- المستعار له. ٢- المستعار منه.

٣- القرينة. ٤- جامع الاستعارة.

(قسما الاستعارة باعتبار أحد طرفيها) :

١- الاستعارة التصريحية: هي الاستعارة التي ذكر فيها المشبه به.

- مثالها قول المتنبي في وصف رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

في هذا الشاهد استعارتان تصريحيتان، هما : (البحر) و(البدر). ويمكننا أن

الإجراء:

ذكر الشاعر المشبه به وهو (البحر) وحذف المشبه وهو (الممدوح) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو قرينة لفظية (يمشي في البساط) بجامع الكرم على سبيل الاستعارة التصريحية.

لاحظ عناصر الإجراء: هي المشبه والمشبه به والقرينة والجامع ونوع الاستعارة.

من أمثلة الاستعارة التصريحية:

- قال تعالى: "كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور".
- قال المتنبي يصف موسى الحلاقة:

إذا لمع البرق في كفه افاض على الوجه ماء النعيم

- جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا
- أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفرٍ تصافحت فيه بيض الهند واللمم
- فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وردا وعضّت على العناب بالبرد

ملحوظات

ربما لحظنا مما تقدم أننا نستطيع أن نستنتج جامع الاستعارة من اللفظ المستعار إن كان واقعاً في الفعل أو من قرينة الاستعارة إن كانت فعلية. راجع الشواهد السابقة.

٢- الاستعارة المكنية: هي الاستعارة التي ذكر فيها المشبه.

- مثالها قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

الإجراء:

ذكر الشاعر المشبه وهو (المنية) وحذف المشبه به وهو (الحيوان المفترس) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو قرينة لفظية (أظفارها) بجامع الوحشية والافتراس على سبيل الاستعارة المكنية.

لاحظ عناصر الإجراء: هي المشبه والمشبه به والقرينة والجامع ونوع الاستعارة.

من أمثلة الاستعارة المكنية:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمانُ

"إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها".

تملّ الحصونُ الشمّ طول نزالنا وتلقي إلينا أهلها وتنزل

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

(قسما الاستعارة باعتبار الاشتقاق والجمود) :

١- الاستعارة الأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار أو الذي جرت فيه اسم جنس غير مشتق.

من اسماء الجنس غير المشتقة:

اسم ذات مثل: أسد.

اسم معنى مثل: القتل والضرب.

اسم جنس حقيقة مثل: إنسان، وحيوان.

مثال الاستعارة الأصلية:

- يا قمراً أبرزه مأتم يندب شجواً بين أترابه

الإجراء: شبه الشاعر هنا (المرأة) بـ(القمر) فذكر المشبه به وحذف المشبه، وأبقى شيئاً من لوازمه قرينة لفظية (ينحدر) بجامع البياض على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

- قال المتنبي يصف قلماً:

يمجّ ظلاماً في نهار لسانه ويفهم عمن قال ما ليس يسمع

-وقال يمدح سيف الدولة:

أحبكَ يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفرقد

٢- الاستعارة التبعية: هي ما كان اللفظ المستعار أو الذي جرت فيه اسماً مشتقاً أو فعلاً.

مثالها:

- قال شاعر يصف زهراً في حديقة:

أنتَ في خضراء ضاحكة من بكاء العارض الهتن

الإجراء: شبه الشاعر هنا (تفتح الزهر) بـ(ضاحكة) فذكر المشبه به وحذف المشبه، وأبقى شيئاً من لوازمه قرينة لفظية (خضراء) بجامع البياض على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

- وقال البحتري يصف قصراً:

ملأت جوانبه الفضاء وعانقت شرفاته قطع السحاب الممطر

- وقوله تعالى: "ولما سكت عن موسى الغضب".

ملحوظات مهمة :

علينا أن نلحظ أن قرائن الاستعارات التي تكون بالفعل أو بالمشتقات التي تعمل عمل فعلها كما ورد في الاستعارات التبعية يمكن أن تكون استعارات مكنية، غير أنه لا يجوز لنا أن نجري الاستعارة في كليهما معاً بل في واحدة منهما. لاحظ الشواهد الآتية:

- لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

- ملأت جوانبه الفضاء وعانقت شرفاته قطع السحاب الممط

- وقوله تعالى: "ولما سكت عن موسى الغضب".

- جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا

- أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفرٍ تحافحه فيه بيض الهند واللمم

تدريبات :

س١- بين الاستعارات في الشواهد البلاغية الآتية وأجرها وبين نوعها باعتبار طرفيها وباعتبار الاشتقاق والجمود:

- قال تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم".

- تعرّض لي السحابُ وقد قفلنا فقلتُ إليك إن معي السحابا

- قال تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة".

- قد انقضت دولة الصيام وقد بشّر سقم الهلال بالعيد
- والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار
- وتحيي له المالَ الصوارمُ والقنا ويقتل ما تُحيي التبسمُ والجِدا

س٢- أجر الاستعارات التي تحتها خط في الشواهد البلاغية الآتية، وبين نوعها باعتبار طرفيها وباعتبار الاشتقاق والجمود:

- قال تعالى: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً".
- وقال تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى".
- وردٌ إذا وردَ البحيرةَ شارباً وَرَدَ الفراتَ زئيرُه والنيلا
- ديمةٌ سمحة القياد سكوب مُسْتَغيثٌ بها الثرى المكروبُ
- قال تعالى: "قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون".

المحاضرة الثامنة

الاستعارة (٢)

عناصر المحاضرة

أولاً- أقسام الاستعارة باعتبار ما يلائم طرفيها.

١- الاستعارة المجردة.

٢- الاستعارة المرشحة.

٣- الاستعارة المطلقة.

ثانياً- الاستعارة المفردة والاستعارة التمثيلية.

أقسام الاستعارة باعتبار ما يلائم طرفيها :

تنقسم الاستعارة باعتبار ما يلائم أحد طرفيها ثلاثة أقسام، ونقصد بالملائم الصفات التي تذكر مع اللفظ المستعار وهي تلائم أحد طرفي الاستعارة (المشبه أو المشبه به) أو تلائم الطرفين معاً على أن لا تكون القرينة داخلة في هذه الصفات.

كما في قول الشاعر:

وعد البدر بالزيارة ليلاً فإذا ما وفى قضيت نذوري

الاستعارة هنا في لفظ (البدر) وهو المشبه به والقرينة الدالة على أنه استعارة هي (وعد) وهي لازمة للمشبه وهو (الفتاة) بجامع الاستدارة. ولو بحثنا عن صفات تلائم أحد طرفيها في البيت لوجدناها في (الزيارة والوفاء) وهما صفتان متوفرتان في المشبه (المرأة).

أقسامها هي:

١- الاستعارة المجردة: هي الاستعارة التي يذكر معها صفات تلائم المشبه دون المشبه به، وسميت بالمجردة لتجريدها عن بعض المبالغة، إذ يبعد المشبه بالمبالغة عن المشبه به فيبعد دعوى الاتحاد الذي هو مبنى الاستعارة.مثالها: قول الشاعر:

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء لها نجم ولا بدر

المشبه (ليلة) المشبه به (الإنسان) والقرينة هي (مرضت) وجامعها انطفاء معالم الحياة. والصفات التي تلائم المشبه هي (فما يضيء لها نجم ولا بدر) وليس هنا ما يلائم المشبه به.

ومنه: وغيبت النوى الطيباتِ عني فساعدت البراقعَ والحجالا

- لحافي لحافُ الضيف والبيتُ بيته ولو يلهني عنه غزالٌ مقنّعُ

٢- الاستعارة المرشحة: هي التي يذكر معها صفات تلائم المشبه به دون المشبه.

مثاله: يا أيها الملك الذي في ظله ريض الزمان فذلّ منه قياد

المشبه (الزمان) المشبه به (الحيوان أو البعير) والقرينة هي (ريض) وجامعها الجموح في كل منهما. والصفات التي تلائم المشبه به هي في (فذل منه قياد) وليس هنا ما يلائم المشبه.

وإذا نظرنا للاستعارة من حيث طرفاها فهي مكنية، ومن حيث الاشتقاق والجمود فهي أصلية.

- ومثال الاستعارة المرشحة، قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم".

أهمية الاستعارة المرشحة:

يعتبر الكلام المشتمل على الترشيح أقوى وأبلغ من المشتمل على الإطلاق والتجريد ، لاشتماله على تقوية المبالغة وكمالها فإن المحور الذي يدور عليه الترشيح إنما هو تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه وكأن الاستعارة غير موجودة.

انظر للاستعارات الآتية:

- أتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

-كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

٣- الاستعارة المطلقة: هي التي خلت من الصفات التي تلائم المشبه والمشبه به، أو هي التي ذكرت فيها صفات تلائم الطرفين معاً.

مثال التي تخلو من الصفات قول الشاعر:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

شبه الشاعر الشر بالحيوان المفترس والقرينة الدالة على المحذوف هو ناجذيه ، ولو بحثنا عن الصفات التي تلائم أحد الطرفين لما وجدناها ؛ لذلك فهي مطلقة.

- ومثاله قول المتنبي يخاطب ممدوحه : يا بدرُ، يا بحرُ، يا غمامةُ يا ليثُ، يا حِماةُ، يا رجلُ

- ومثال الاستعارة التي تذكر معها صفات تلائم الطرفين، قول زهير بن أبي سلمى:

لدى أسد شاكي السلاح مقذفه له لبد أظفاره لم تُقَلَّمِ

شبه الشاعر الممدوح بالأسد والقرينة الدالة على ذلك قرينة عقلية، وقد جاءت صفات تلائم المشبه (الممدوح) وهي (شاكي السلاح مقذفه) وصفات تلائم المشبه به (أسد) وهي (له لبد أظفاره لم تُقَلَّمِ).

الاستعارة المفردة والاستعارة التمثيلية :

تنقسم الاستعارة من جهة الإفراد والتركيب قسمين: مفردة ومركبة.

١- الاستعارة المفردة: هي ما جرت في اللفظ الواحد كما مرّ في كل الشواهد الشعرية والقرآنية فيما مر من هذه المحاضرة والمحاضرة السابقة.

٢- الاستعارة المركبة أو التمثيلية: هي الاستعارة التي يكون المستعار فيها مركباً، وقد عرَفها البلاغيون: "إنها تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي".

- كما في قول المتنبي:

ومن يك ذا فم مُرٍّ مريض يجد مُراً به الماء الزلالا

المعنى الحقيقي لهذا التركيب هو أن حاسة الذوق عند الإنسان إذا كانت لا تعمل بصورة صحيحة لمرض فيه ، فإنه يجد أي سائل يدخل فمه مراً حتى ولو كان ماء عذباً. والمتنبي يستخدم هذا البيت استخداماً مجازياً فهو يعني الإنسان الذي فقد نعمة الذوق الأدبي فلم يقدر الشعر الرائع الجميل حق قدره، والعلاقة بين المعنيين علاقة المشابهة، وقد حذف المشبه المركب وهو الإنسان الذي لا يميز الشعر الرديء من الشعر الجيد.

- ومثاله قول الشاعر: ومن ملك البلاد بغير حربٍ يهون عليه تسليم البلاد

(يقال لمن ورث المال بدون جهد وبدده من غير حساب).

- عاد السيف إلى قِرابه وحل الليثُ منيعَ غابه

(تقال لمجاهد عاد إلى وطنه بعد غيابه).

الاستعارة التمثيلية بين تشبيه التمثيل والتشبيه الضمني.

قد يخلط بعض الطلاب الاستعارة التمثيلية بتشبيه التمثيل والتشبيه الضمني؛ لذلك يجب الانتباه إلى ما بينها من فروقات.

فتشبيه التمثيل: يقوم على وجود تركيبين متشابهين صراحة، نحو قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فالصورة المركبة الأولى تمثل جو المعركة القاتم الذي تلمع فيه السيوف وتتطاير الشرارات المنبعثة منها وهي المشبه.

والصورة المركبة الثانية تمثل الليل المليء بالكواكب التي تتساقط وهي المشبه به.

نلحظ أن طرفي التشبيه ظاهران ملحوظان لفظاً.

أما الاستعارة التمثيلية، فتقوم أيضاً على صورتين مركبتين، متشابهتين ضمناً، ولكن عبارة الاستعارة لا تتضمن وجود المشبه؛ أي أن الحالة الأصلية (المشبه)لا ترد في الاستعارة التمثيلية، وإنما ترد العبارة المستعارة التي تُشَبَّهُ بها، نحو قول الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويُنكر الفمُّ طعمَ الماء من سقم

في هذا القول استعارتان تمثيليتان، تنهضان على تشبيه حالة لم تذكر، وهي حالة الإعراض عن رؤية الحق مرة بحالة الأرمد الذي يفقد النظر، فلا يرى ضوء الشمس. ومرة بحالة المريض الذي يفقد الإحساس فلا يقدر على تذوق الأشياء.

نلحظ في هاتين الاستعارتين التمثيليتين أن أحد طرفي التشبيه في كل منهما محذوف وهو المشبه.

تدريبات

س٣- أجر الاستعارات في الشواهد البلاغية الآتية، وبين نوعها باعتبار طرفيها، وباعتبار الاشتقاق والجمود، وباعتبار ما يلائم طرفيها من صفات:

- نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن وما تفنى العناقيد

-إذا ما الدهر جرّ على أناس كلا كله أناخ بآخرينا

-حول أعشاشها على الأشجار قد سمعنا القيان وهي تغني

-يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار

-وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

المحاضرة التاسعة

الكناية

عناصر المحاضرة

١- مفهوم الكناية.

٢- أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه.

الكناية: هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.

مثاله: بعيدة مهوى القُرط إمّا لنوفلٍ أبوها، وإمّا عبد شمس وهاشمُ

اللفظ المطلق هنا هو: (بعيدة مهوى القرط). وهذا يسميه البلاغيون (المكنى به).

المعنى الملازم للفظ المطلق هو (طويلة العنق)، وهذا يسميه البلاغيون (المكنى عنه).

ويجوز أن نقول: بعيدة مهوى القرط طويلة العنق.

١- الكناية عن صفة: وهي إطلاق اللفظ يراد به الصفة الملازمة له.

مثاله قول الخنساء في أخيها صخر:

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

في البيت ثلاث كنايات وضعنا تحت كل منه خطاً.

الأولى- (طويل النجاد) وهو لفظ يعني أن حمالة السيف طويلة، وهذه الحمالة لا يرتديها إلا من هو قامته مناسبة لها، وهذا يعني أن صاحبها قامته طويلة. فالمعنى المكنى عنه هنا هو (طول القامة) وهذا المعنى هو صفة، فالكناية هي كناية عن صفة.

الثانية- (رفيع العماد) وهي كناية عن صفة (السيادة) لأن البيت الذي عمده مرتفع يتميز من بيوت الناس في الحي، وهذا يعني أن صاحبه متميز من غيره من أصحاب البيوت، ومن هو متميز من قومه فهو سيدهم.

الثالثة- (كثير الرماد إذا ما شتا) وهي كناية عن الكرم. ونستطيع أن نستنتجها من عدة وسائط كما في الكنايتين السابقتين.

ومثالها: فمسّاهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم ترابه

- وما يك فيَّ من عيب فإني جبان الكلب، مهزول الفصيل

- قال نصيب بن رباح في مدح عبد العزيز بن مروان:

لعبدِ العزيز على قومه وغيرهم مِننٌ ظاهره

فبابُكَ أسهلُ أبوابهم ودارك مأهولةٌ عامره

وكلبُكَ آنسُ بالزائرين من الأُم بابنتها الزائره

٢- الكناية عن موصوف: وهي إطلاق الصفة يراد بها الموصوف بها.

مثالها: الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

أطلق الشاعر هنا لفظ الصفة (مجامع الأضغان) وأراد بها موصوفها وهو القلوب.

ومنها: فلما شربناها ودب دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها: قفي

- قال شاعر في فضل دار العلوم في إحياء لغة العرب:

وجدتْ فيكِ بنتُ عدنان داراً ذكَّرَتْها بداوةَ الأعرابِ

- ودبّت في موطن الحلم علّةٌ لها كالصّلال الرُّقش شرّ دبيب

- ولي بين الضلوع دم ولحم هما الواهي الذي ثكِلَ الشبابا

- ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب

- سليلُ النار دقَّ ورقَّ حتى كأنَّ أباه أورثه السُلالا

٣- الكناية عن نسبة: وهي التي يراد بها إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه، وبها تذكر الصفة والموصوف ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع أنها هي المقصودة.

مثالها: فما جازه جود ولا حلّ دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

أراد الشاعر هنا أن يصف ممدوحه بالكرم والجود، ولكنه نسب الكرم والجود إلى المكان ولم ينسبه إلى صاحبه، وهذا كناية عن نسبة الكرم إلى ممدوحه.

ومثاله أيضاً:

- يبيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلّت

- إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

- اليمن يتبع ظله والمجد يمشي في ركابه

الفرق بين الكناية والمجاز والاستعارة :

ثمة تشابه وفروق بين الكناية والمجاز والاستعارة، هي:

١- الكناية تشبه المجاز والاستعارة بأن لها معنى مستخدماً ومعنى ملازماً له.

أما الكناية فلها مكنى به وهو يقابل اللفظ المجازي المستخدم والكناية لها مكنى عنه محذوف وهو يقابل المعنى المحذوف في المجاز والاستعارة.

٢- تفترق الكناية عن المجاز والاستعارة في أن المعنى المحذوف (المكنى عنه) في الكناية يجوز أن يذكر معها، في حين أن المجاز والاستعارة لا يجوز ذكر معناها المحذوف.

٣- ويفترق المجاز والاستعارة عن الكناية أن فيهما قرينة مانعة من ذكر المعنى المحذوف، في حين لا نجد مثل هذا في الكناية.

تدريبات

أجر الكنايات في الشواهد البلاغية الآتية، وبين نوعها باعتبار المكنى عنه:

- لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَل
- فأتبعتُها أخرى فأضللتُ نصلَها بحيث يكون اللبُ والرُّعْبُ والحقد
- يُغْشَون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

المحاضرة العاشرة

علم البديع (١)

عناصر المحاضرة

علم البديع: مفهومه.

أقسام علم البديع: المحسنات المعنوية، والمحسنات اللفظية.

المحسنات المعنوية:

١- الطباق.

٢- المقابلة.

٣- التدبيج.

علم البديع: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة.

أي أن علم البديع يتضمن وجوهاً محسنة للكلام بعد تحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال المتحققة في علم المعاني وتحقق وضوح الدلالة المتحققة في علم البيان.

أقسام علم البديع :

قسم البلاغيون المحسنات البديعية قسمين:

أولاً- المحسنات المعنوية: هي التي تزيد المعنى حسناً، إما بزيادة تنبيه على شيء، أو بزيادة التناسب بين أجزاء الكلام. وبعض هذه المحسنات لا تخلو عن تحسين اللفظ. وتندرج تحته مجموعة من المحسنات البديعية.

وعلامة المحسن المعنوي: أننا لو غيرنا بعضه لظل محسناً معنوياً مثل: نظرت إلى الأرض وإلى الأعلى. بين كلمتي الأرض والأعلى طباق، فالأرض بمعنى الأسفل وهي تطابق كلمة الأعلى، ولو قلنا نظرت إلى الأسفل لظل في التركيب طباق.

ثانياً- المحسنات اللفظية: هي التي تزيد اللفظ حسناً، وإن كانت لا تخلو عن تحسين المعنى. وتندرج تحته مجموعة من المحسنات البديعية.

وعلامة المحسن اللفظي: أننا لو غيرنا بعضه لاختفى وما عاد محسناً لفظياً.

مثاله قول الشاعر أحمد شوقي:

سلا مصر هل سلا عن القلب عنها

بين كلمتي (سلا وسلا) جناس الأولى جاءت بمعنى السؤال والثانية بمعنى النسيان، فلو غيرنا الثانية وقلنا سلا مصر هل نسيها القلب، لاختفى الجناس.

المحسنات المعنوية

الطباق الحقيقي والمجازي.

الطباق أو(المطابقة، أو التطبيق، أو التضاد، أو التكافؤ) وكل هذه المصطلحات بمعنى واحد: هو أن يجمع المتكلم بين متضادين؛ أي يجمع بين معنيين متقابلين في الجملة.

للطباق أقسام متعددة هي:

١- الطباق الحقيقي والطباق المجازي (وقد سمى بعض البلاغيين المجازي التكافؤ) وهما لا يكونان في بنية طباق واحدة فالطباق إما حقيقي وإما مجازي.

أما الطباق الحقيقي فهو ما كان بألفاظ الحقيقة، مثل:

- قال تعالى: "وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظلُّ ولا الحرور، وما يستوي الأحياء ولا الأموات". فكل زوج من الكلمات المخطوط تحتها يمثل طباقاً.

ومثال الطباق الحقيقي أيضاً:

قال تعالى: "وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى".

قال تعالى: "وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود".

قال رسول الله عليه السلام للأنصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع".

وأما الطباق المجازي فهو ما كان بألفاظ المجاز، سواء أكان اللفظان مجازيين معاً أو كان أحدهما مجازياً والآخر حقيقياً.

كما في قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى".

الضلالة والهدى هنا لفظان مجازيان وهما من قبيل الاستعارات المكنية كما تعلمتم سابقاً.

ومنه قول التهامي: لقد أحيا المكارم بعد موت وشاد بناءها بعد انهدام

ومنه قول الشاعر: جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا

وقول الشاعر: لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

٢- طباق السلب وطباق الإيجاب، وهما لا يكونان في بنية طباق واحدة فالطباق إما إيجاب وإما سلب.

أما طباق السلب فله صور متعددة:

- منها ما كان بين كلمتين من أصل واحد جاء أحدهما في الأمر والآخر في النهي، كما في قوله تعالى: "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا". الطباق بين لا تقل وقل.

-ومنها ما كان بين كلمتين من أصل واحد إحداهما منفية والأخرى مثبتة، كما في قوله تعالى: "وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا". الطباق بين يتخذوه ولا يتخذوه.

- ومنها ما كان بين كلمتين متضادتين في الأصل منفيتين، نحو قوله تعالى: "لا يموت فيها ولا يحيا".

ويمكننا أن نلحظ طباق السلب في الشواهد الآتية:

- قال تعالى: "إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون".

- قال تعالى: "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك".

- وننكر إنْ شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القولَ حين نقول

- يُقَبِّضُ لي من حيث لا أعلم الهوى ويسري إليَّ الشوقُ من حيث أعلم

وأما طباق الإيجاب فهو لا يأتي على الصور السابقة في السلب، بمعنى أن كل ما لم يأتِ على صورة من صور طباق السلب فهو طباق إيجاب وكل الأمثلة السابقة في الطباق الحقيقي والمجازي هي من طباق الإيجاب.

٣- الطباق اللفظي والطباق المعنوي، وهما لا يكونان في بنية طباق واحدة فالطباق إما لفظي وإما معنوي.

أما الطباق اللفظي، فهو ما كان بين لفظ ولفظ وكل متقدم من أمثلة في القسمين السابقين من شواهد صالح لأن يكون طباقاً لفظياً.

أما الطباق المعنوي، فهو ما كان بين لفظ ومعنى، كما في قوله تعالى: "إنْ أنتم إلا تكذبون، قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون". الطباق بين لفظ (تكذبون) ومعنى (إنا إليكم لمرسلون) وهو (إنا لصادقون).

ومنه:

- قال تعالى: "الذي جعل لكم *الأرض* فراشاً *والسماء* بناء".

- لهم جلّ مالي إنْ تتابع لي غنى وإن قلّ مالي لا أكلفهم رفدا

- قال تعالى: "ولكم في القِصاص حياة يا أولي الألباب".

- قال تعالى: "مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً".

المحسنات المعنوية

(٢- المقابلة)

المقابلة: هي أن يأتي المتكلم بلفظين أو معنيين فأكثر ثم يأتي بما يقابل هذين اللفظين أو المعنيين، على علاقة التضاد أو غيرها من العلاقات من مثل المخالفة والتناظر ويكون هذا على الترتيب.

الفرق بين الطباق والمقابلة:

١- الطباق لا يكون إلا في الأضداد ، والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها ، وإن كانت الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعاً.

٢- الطباق لا يكون إلا بين ضدين حسب ، والمقابلة لا تكون إلا بين أربعة فأكثر.

- مثالها مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم". فكلمة (تكرهوا) تقابل كلمة (تحبوا) على التضاد، وكلمة (خير) تقابل كلمة (شر) على التضاد أيضاً.

- وقوله تعالى: "فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم".

-وقول الشاعر: جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا

- ومنه مقابلة ثلاثة بثلاثة، كما في قوله تعالى:"ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث".

-وقول أبي الطيب:

فلا الجود يفني المال والبِخْلُ مقبل ولا البخل يبقي المال والبِخْلُ مدبر

- ومنه مقابلة أربعة بأربعة، كما في قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى".

- وهكذا يمكن أن تصل المقابلات إلى ما يزيد عن عشرة متقابلات.

المحسنات المعنوية

(٣- التدبيج)

التدبيج: هو أن يذكر المتكلم ألواناً بقصد الكناية بها أو التورية. ومن البلاغيين من يجعل اللون من غير الكناية والتورية تدبيجاً.

مثاله قوله تعالى: "ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سود". التدبيج هنا في كلمتي (بيض) و (حمر) فالجدد البيض كناية عن الطرق المسلوكة المأهولة، والجدد الحمر كناية عن الطرق المهجورة ، وأما كلمة (سود) فليست من باب التورية أو الكناية.

ومثال التدبيج أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد يموت فيترك صفراء أو بيضاء إلا جعل الله بكل قيراط منها صفحة من نار". كلمة الصفراء كناية عن الذهب، والبيضاء كناية عن الفضة.

ومنه قول الصفدي:

ما أبصرت عيناي أحسن منظراً فيما ترى من سائر الأشياء

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

تدريبات

س١- حدد أنواع الطباق في كل شاهد مما يأتي من حيث الطباق الحقيقي والمجازي وطباق الإيجاب والسلب، والطباق اللفظي والمعنوي:

- قال تعالى: "سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار".

- قال تعالى: "في جنة عالية قطوفها دانية".

- فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة".

- "كونوا للعلم دعاة ولا تكونوا له رواة".

- قال تعالى: "ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون".

س٢- بين بنية المقابلة فيما يأتي محدداً العناصر المتقابلة:

- قال تعالى: "الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً".
- قال تعالى: "هل أتاك حديث الغاشية، وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى ناراً حامية، تسقى من عين آنية، ليس لهم طعام إلا من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع".
- قال تعالى: "والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى".

س٣- اكتشف المعاني الممكن عنها في الألوان في الشاهد الآتي:

- ببياض غزو واحمرار صواره وسواد نقع واخضرار رحابه

المحاضرة الحادية عشرة

علم البديع (٢)

عناصر المحاضرة

المحسنات المعنوية:

٤- مراعاة النظير. ٥- تشابه الأطراف. ٦- التفويف. ٧- الإرصاد. ٨- المشاكلة. ٩- العكس والتبديل.

٤- مراعاة النظير: أخذ عند البلاغيين عدداً من الأسماء هي: التوفيق، والتناسب، والائتلاف، والمؤاخاة.

مفهومه: هو أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، والمناسبة هنا عامة سواء أكانت هذه المناسبة في اللفظ مع المعنى، أم في اللفظ مع اللفظ.

من أمثلة مناسبة اللفظ مع المعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف، أغبر ذي طمرين، لا يؤبه به، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتُلٍّ جواظ متكبر".

جاءت في الحديث ألفاظ سهلة رقيقة تتناسب مع أهل الجنة، وألفاظ جزلة شديدة تتناسب مع أهل النار، فكانت هذه الألفاظ متناسبة مع معانيها.

ومن أمثلة مناسبة اللفظ مع اللفظ قوله تعالى: "الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان". لفظ الشمس يتناسب مع لفظ القمر في الإضاءة ليلاً أو في كونهما من أجرام السماء، ولفظ النجم بمعنى العشب يتناسب مع لفظ الشجر في كونهما من النبات.

ومنها:

- قوله صلى الله عليه وسلم: "ذو الوجهين في الدنيا ذو اللسانين في الآخرة".
- أنتم بنو طه، ونون، والضحى وبنو تبارك والكتاب المحكم
- وبنو الأباطح، والمشاعر، والصفا والركن، والبيت العتيق، وزمزم

٥- **تشابه الأطراف:** هو في الشعر أن يعيد الشاعر لفظة القافية في أول البيت الذي يليها، وأما في النثر فهو أن يعيد الناثر آخر لفظة في الجملة في أول الجملة التي تليها.

- مثاله في الشعر قول ليلى الأخيلية تمدح الحجاج بن يوسف الثقفي:

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشربة سجالها دماء رجال يحلبون ضراها

- ومنه قول أبي نواس:

خزيمةٌ خيرُ بني خازمٍ وخازمٌ خير بني داره

ودارمٌ خير تميم وما مثل تميم في بني آدمِ

- ومن النثر قوله تعالى: "وعْدَ اللهِ لا يخلف اللهُ وعده، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا".

- وقوله تعالى: "اللهُ نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري".

٦- **التفويف:** هو أن يأتي المتكلم بفنون بلاغية شتى، كل فن في جملة منفصلة، مع تساوي الجمل في الوزن.

- مثاله قوله تعالى: "الذي خلقني فهو يَهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يَشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، ربِ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين".

- وقوله تعالى: "تولج الليل بالنهار، وتولج النهار بالليل، وتخرج الحيّ من الميّت، وتخرج الميت من الحي".

٧- **الأرصاد** وقد سماه بعض البلاغيين (**التسهيم**): وهو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلاً على ما يتأخر منه.

- مثاله قوله تعالى: "مثل الذين اتخذوا من دون اللهِ أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت".

- وقوله تعالى: "فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان اللهُ ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون".

-ولربما اعتصم الحليم بجاهل لا خير في يمنى بغير يسار

-وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

٨-**المشاكلة:** هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً.

١- المشاكلة التحقيقية: هي التي يتحقق فيها لفظ المصاحب للفظ المشاكلة.

- مثالها قوله تعالى: "وجزاء سيئة سيئة مثلها".

وقعت المشاكلة في اللفظ الثاني (سيئة) إذ الأصل أن يكون هذا اللفظ (عقوبة) ولكن مجيء معنى العقوبة مصاحباً للفظ سيئة الأول جاز أن يشاكله، وقد جاءت المشاكلة تحقيقية لأن اللفظ الأول (سيئة) قد ذكر في التركيب.

ومن المشاكلات التحقيقية:

- قال تعالى: "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك". ما عندك.
- قال تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم".
- قال تعالى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟".
- ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلين.

٣- **المشاكلة التقديرية:** وهي أن يكون اللفظ المُشاكَلُ محذوفاً ومقدراً بقرينة ما، ولا يذكر فيها إلا اللفظ المشاكِل.

- مثالها ما جاء في القرآن الكريم رداً على بعض المسلمين الذي طلبوا من الرسول – صلى الله عليه وسلم- أن يكون لهم صبغ كصبغ النصارى في تطهير أبنائهم، قال تعالى: "صبغةَ الله ومن أحسن من الله صبغة". أي تطهير الله.

ومنه قول شاعر رأى والي مدينة يغرس شجراً لتزيين مدينته:

اغرس من الفعل الجميل غرائساً فإذا عزلت فإنها لا تعزل

٩- **العكس والتبديل:** وهو أن يقدم المتكلم جزءاً من الكلام ثم يؤخره.

- مثاله قوله تعالى: "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسلَ له من بعده".
- قال تعالى: "تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل".
- ويجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعهْ

  ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعهْ
- قال عليه السلام: "جار الدار أحق بدار الجار".

المحاضرة الثانية عشرة

علم البديع (٣)

عناصر المحاضرة

المحسنات المعنوية:

١٠- التورية. ١١- الاستخدام. ١٢- اللف والنشر. ١٣- الجمع. ١٤- التفريق. ١٥- الجمع مع التفريق.

١٠- **التورية:** هي أن تكون الكلمة محتملة لمعنيين، ويستعمل المتكلم أحد هذين الاحتمالين ويهمل الآخر، ويكون مراده ما أهمله لا ما استعمله. أو هي أن يكون للكلمة معنيان: قريب وبعيد، يريد المتكلم المعنى البعيد منهما.

- منها قوله تعالى: "قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم". فكلمة(ضلالك) تحتمل معنيين هما: ضد الهدى، وحب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف، فاستعمله أبناء يعقوب بمعنى ضد الهدى تورية عن الحب.
- وقوله تعالى: "اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه". (ربه) المعنى القريب هو الله، والمعنى البعيد هو الملك.

- قال تعالى: "ويطوف عليهم ولدان مخلدون". مخلدون: لها معنيان قريب هو خالدون وبعيد وهو في آذانهم أقراط، والقرط يطلق على الخلدة. والسامع يتوهم المعنى الأول.

- قال تعالى: "يدخلهم الجنة عرفها لهم". عرفها تحتمل معنيين الأول وهو من العرف وهو التطيب، والثاني عرفهم منازلهم في الجنة وهو المراد.

- قال تعالى: "وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد". كلمة الولي تحتمل معنيين: الأول أنها اسم من أسماء الله تعالى فهو الولي لعباده بالرحمة والمغفرة، والمعنى الثاني أنها من أسماء المطر، وهو مطر الربيع. وكلمة الحميد تحتمل معنيين أيضاً: الأول أن الله هو المحمود في السراء والضراء، والثاني أن المطر محمود.

١١- الاستخدام: هو أن يأتي المتكلم بلفظ له معنيان أو أكثر مريداً به أحد معانيه، ثم يأتي بضمير يريد به المعنى الآخر، أو بضميرين يريد بأحدهما أحد المعاني وبالآخر المعنى الآخر.

- منه قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين". الإنسان هنا هو آدم عليه السلام والضمير الذي عاد إليه في (جعلناه) يعود إلى ولده.

- ومنه قوله تعالى: يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدَ لكم تسؤكم، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبْدَ لكم عفا الله عنها والله غفور حليم، قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين".

الضمير في كلمة (سألها) يعود إلى (أشياء) والذي سأل عنه الأولون أشياء أخر تختلف عن الأشياء التي سأل عنها الصحابة المؤمنون ونهوا عن سؤالها.

- فسقى الغضا والساكنيه وإن هوَ شبوه بين جوانح وقلوب

الغضا يطلق على معنيين: واد بنجد، وشجر معروف، وقد عاد إليه ضميران، أحدهما في كلمة (الساكنيه) وهو بمعنى الوادي، والآخر في كلمة (شبوه) وهو بمعنى الشجر.

تنبيه:

كثيراً ما تلتبس التورية بالاستخدام، والفرق بينهما:

أن التورية يستعمل فيها اللفظ بمعنيين فيستخدم أحدهما ويهمل الآخر ويكون المهمل هو المراد.

وأن الاستخدام يستعمل فيه اللفظ بمعنيين وهما يرادان معاً.

١٢- اللف والنشر أو الطي والنشر: هو ذكر متعدد على جهة التفصيل: بالنص على كل واحد، أو على جهة الإجمال: بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، وهذا هو اللف، ثم ذكر ما لكل واحد من المتقدم من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به، وهذا هو النشر.

وذكر المتعدد على جهة التفصيل ضربان:

الأول- أن يكون النشر على ترتيب اللف، بأن يكون من النشر للأول من اللف، والثاني للثاني وهكذا.

- مثاله قوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً". فاللوم راجع إلى البخل ومحسوراً راجع إلى الإسراف.

- وقوله تعالى: "ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث".

ثانياً- الضرب الثاني من المفصل: هو ما كان النشر فيه على غير ترتيب اللف.

- مثاله قوله تعالى: "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين ابيضت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذي ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون". في اللف ذكر البياض أولاً والسواد ثانياً .

وفي النشر ذكر السواد أولاً والبياض ثانياً.

أما اللف والنشر المجمل، فهو: أن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك. وهذا النوع لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس.

- مثاله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث:

إما من شبهة في الدين ارتكبوها

أو شهوة للذة آثروها

أو عصبية لحمية أعْملوها

فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين، وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد، وإذا عنّت لكم عصبية فادرؤوها بالعفو".

١٣- الجمع: هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أشياء في حكم واحد.

- مثاله قوله تعالى: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا". جمع المال والبنين في الزينة.

- وقوله تعالى: "الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان".

١٤- التفريق: هو أن يباين المتكلم بين أمرين أو أكثر من نوع واحد اشتركت فيه، وقد فرق بينهما؛ ليفيد زيادة أحدهما على الآخر.

- مثاله قال تعالى: "وما يستوي البحران: هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج".

- قال تعالى: "وهو الذي مرج البحرين: هذا عذب فرات، وهذا ملح أجاج".

-ما نوال الغمام وقت الربيع كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء

- من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين

أنت إذا جدت ضاحك أبدا وهو إذا جاد دامع العين

١٥- الجمع مع التفريق: هو أن يدخل المتكلم شيئين في معنى واحد، ويفرق بين جهتي الإدخال.

نحو قول الشاعر:

- تشابه دمعانا غداة فراقنا مشابهة في قصة دون قصةِ

فوجنتها تكسو المدامع حمرة ودمعي يكسو حمرة اللون وجنتي

فقد جمع الشاعر بين الدمعين في الشبه ثم فرق بينهما بأن دمعها أبيض، فإذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها، وأن دمعه أحمر لأنه يبكي دماً، وجسده في النحول أصفر، فإذا جرى عليه الدمع حمره.

المحاضرة الثالثة عشرة

علم البديع (٤)

عناصر المحاضرة

المحسنات المعنوية:

١٦- التقسيم. ١٧- الجمع مع التقسيم. ١٨- الجمع مع التقسيم والتفريق. ١٩- التجريد. ٢٠- تأكيد المدح بما يشبه الذم.

٢١- تأكيد الذم بما يشبه المدح . ٢٢- أسلوب الحكيم.

١٦- التقسيم: هو أن يستوفي المتكلم أقسام الشيء الذي هو آخذ به، بحيث لا يغادر منها شيئاً.

- مثاله قوله تعالى: "هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً". فليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار.
- وقوله تعالى: "الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم".
- وقوله تعالى: "يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً".

١٧- الجمع مع التقسيم: هو أن يجمع المتكلم بين أشياء متعددة تحت حكم واحد ثم يقسم أو أن يقسم ثم يجمع.

مثاله قوله تعال: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصدٌ، ومنهم سابق بالخيرات".

أي جعلنا القرآن الموحى به إليك ميراثاً منك لأمتك التي اصطفيناها على سائر الأمم ينتفعون بما فيه من الأحكام والمواعظ والأمثال. فجمع بينهم في الاصطفاء ثم قسمهم ثلاثة أقسام:

- ظالم لنفسه.
- ومقتصد.
- وسابق لغيره في الخيرات.

ومثاله:

- أبادهم: فليبيت المال ما جمعوا والروح للسيف والأجساد للرخم
- والمال والماء في كفيه قد جريا هذا لراجٍ، وذا للجيش حين طمى

١٨- الجمع مع التقسيم والتفريق:

مثاله قوله تعالى: " يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ،

الجمع: في كلمة نفس، أي كل نفس؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم.

التفريق: في قوله فمنهم شقي وسعيد.

التقسيم: في أما الذين شقوا ففي النار... وأما الذين سعدوا ففي الجنة...

١٩- التجريد: قسم ابن الأثير في كتابه المثل السائر قسمين:

١- التجريد المحض.

٢- التجريد غير المحض.

التجريد المحض: كما عرفه ابن الأثير: "أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك".

مثاله قول المتنبي:

لا خيلَ عندكَ تهديها ولا مال فليسعد النطقُ إن لم يسعد الحال

وقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل فهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟

وقول الشاعر المعروف بالحيص بيص:

إلام يراك المجد في زي شاعر وقد نحلتْ شوقاً فروعُ المنابر

كتمت بعيب الشعر حلماً وحكمة ببعضهما ينقاد صعب المفاخر

أما وأبيكَ الخير إنكَ فارس الـ ـمقال ومحيي الدارسات الغوابر

وإنكَ أعييت المسامع والنهى بقولكَ عما في بطون الدفاتر

التجريد غير المحض: وهو كما عرفه ابن الأثير: "فإنه خطاب لنفسك لا لغيرك، ولئن كان بين الناس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد، لعلاقة أحدهما بالآخر. وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر، وذلك أولى بأن يسمّى تجريداً، لأن التجريد لائق به، وهذا هو نصف تجريد. لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئاً. وإنما خاطبت نفسك بنفسك. كأنك فصلتها عنك، وهي منك".

مثاله قول الشاعر عمر بن الأطنابة:

أقول لها وقد جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي

وقول الشاعر:

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً إحدى يدي أصابتني ولم تُرِدِ

٢٠- تأكيد المدح بما يشبه الذم: يأتي على ضربين، هما:

الضرب الأول- أن يستثني المتكلم من صفة ذم منفية صفة مدح بتقدير دخولها فيها.

- مثاله قوله تعالى: "لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاما".

أي لا يسمعون في الجنة ما لا يعتد به من الكلام أو كلاماً قبيحاً، أو فيه إثم. فهذه صفة ذم منفية. فإذا جاء الاستثناء أوهمّ أن يأتي بعده صفة ذم حتى يخرج من الكلام السابق جاءت صفة مدح تأكد المدح السابق.

- ومثاله: ولا عيب فيه غيرَ أن ذوي الندى خِساسٌ إذا قيسوا به ولئام

-ولا عيب فيهم غيرَ أن ضيوفهم تُعابُ بنسيان الأحبة والوطن

الضرب الثاني- أن يثبت المتكلم للشيء صفة مدح وتعقّبه بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له.

- قال النابغة:

فتى كمُلت أخلاقُه غيرَ أنه جوادٌ فما يبقي من المال باقيا

فتى تمّ فيه ما يسرُّ صديقَه على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا

فقد أثبت لممدوحه صفة مدح أعقبها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى، فكان مدحاً على مدح.

- ويَعْدِلُ في شرق البلاد وغربها على أنه للسيف والمال ظالم

٢١- تأكيد المدح بما يشبه الذم: يأتي على ضربين، هما:

الضرب الأول- أن يستثني المتكلم من صفة مدح منفية صفة ذم بتقدير دخولها فيها.

مثاله:

- لا خير فيهم إلا أنهم يجبنون عن الحق.

-لا أيمان لهم إلا أنهم يضيعون الأمانة.

-لا فائدة من الكتاب إلا أنه كثير الأخطاء.

-لا عمق في البحث إلا أنه كثير الاستطراد.

الضرب الثاني- أن يثبت المتكلم للشيء صفة ذم يعقبها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى.

مثاله:

- قوم يخشون أعداءهم إلا أنهم يفتِكون بذويهم.

- هم يضحكون لخصومهم إلا أنهم قساة على بني جلدتهم.

- يكثرون من اللغو في الباطل إلا أنهم يسكتون عن الحق.

- لئيم الطباع سوى أنه جبان يهون عليه الهوانُ

٢٢- أسلوب الحكيم: هو أن تحدث المخاطب بغير ما يتوقع.

وهو يأتي على ضربين، هما:

الضرب الأول- أن يتجاهل المتكلم سؤال المخاطب فيجيبه عن سؤال آخر لم يسأله.

نحو قوله تعالى: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحجّ وليس البرُّ أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها".

كان الصحابة رضوان الله عليهم قد سألوا الرسول عليه السلام: ما بال الهلال يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يعود كما بدأ؟ فكان سؤالهم عن السبب والعلة لكن القرآن قال (قل هي مواقيت للناس والحجّ) وهذه الإجابة ليست عن سبب تغير الهلال وإنما هي عن الحكمة من تغير الأهلة.

- ومنه قوله تعالى: "يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم".

- جاءني ابني يوماً وكنت أراه لي ريحانة ومصدر أُنسِ
قال ما الروح؟ قلت إنك روحي قال ما النفس؟ قال إنك نفسي

الضرب الثاني- أن يحمل المتكلم كلام المخاطب على غير ما كان يقصده ويريده، وفي هذا توجيه للمخاطب إلى ما ينبغي عليه أن يسأل عنه أو يقصده في كلامه. نحو:

- قال: ثقّلتُ إذ أتيتُ مراراً قلتُ: ثقلتَ كاهلي بالأيادي
قال: طوّلتُ. قلتُ: أوْليتَ طَوْلا قال أبرمتُ: قلتُ: حبلَ ودادي

قال له: ثقلت عليك بكثرة ما أسأل، لكن الشاعر رد عليه هذا المعنى بعكس ما أراد فقال إنما أثقلت كاهلي بالنعم (وهذا طريق الكناية)، وقال الأول طولت عليك وأخذت من وقتك فقال له لقد أوليت طولاً أي نعما، وقال له أبرمت أي جعلتك تسأم مني وتضيق بي فقال له إنما أبرمت حبل مودة وعهد صفاء.

- ولقد أتيتُ لصاحبي وسألتُه في قرضِ دينارٍ لأمر كانا
فأجابني والله ما داري حوت عيناً. فقلتُ له: ولا إنسانا

ورّى هنا بالعين عن المال فحملها المتحدث على العين الباصرة. وهذا ما لم يقصده المخاطب.

- طلبتُ منه درهماً يوماً فأظهر العَجَبْ
وقال ذا من فضة يصنع لا من ذهبْ

المحاضرة الرابعة عشرة

علم البديع (٥)

عناصر المحاضرة

المحسنات اللفظية:

١- الجناس وأقسامه.

٢- رد الأعجاز على الصدور.

٣- السجع.

١- الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى. وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً المختلفان معنى يسميان "ركني الجناس". ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرفه به المجانسة.

مثاله قوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة".

المراد بالساعة الأولى: يوم الآخرة، والساعة الثانية الساعة الزمنية.

أقسام الجناس:

١- الجناس التام.

٢- الجناس الناقص.

أولاً- الجناس التام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي:

١- أنواع الحروف.

٢- أعدادها.

٣- هيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات.

٤- ترتيبها.

مثالها:

سلا مصر هل سلا القلب عنها

أقسام الجناس التام:

١- **الجناس المماثل**: هو ما كان ركناه أي لفظاه من نوع واحد من أنواع الكلمة، بمعنى أن يكونا اسمين، أو فعلين.

- من أمثلة الجناس المماثل بين اسمين قوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة".

- وقوله تعالى: "يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار". الأبصار الأولى بمعنى الأنظار، والثانية بمعنى العقول.

- عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

عباس الأول علم والثانية من العبوس، والفضل الأول علم والثاني من التفضل، والربيع الأول علم والثاني بمعنى فصل من فصول العام.

- إذا العين راحت وهي عين على الهوى فليس بسر ما تسر الأضالع

العين الأولى الباصرة والثانية الجاسوس.

- ومن الجناس المماثل بين "فعلين":

- قوم لو أنهمُ ارتاضوا لما قرضوا أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

شعروا الأولى من الإحساس والثانية من نظم الشعر.

- يا أختي مذ بانت النجب وجب الفؤاد وكان لا يجب

فارقتكم وبقيت بعدكمو ما هكذا كان الذي يجب

يجب في آخر البيت الأول من الوجيب وهو الارتجاف، والثانية في آخر البيت الثاني من الوجوب وهو اللزوم والثبوت.

٢- الجناس المستوفي: هو ما كان ركناه من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة، بأن يكون أحدهما حرفاً والآخر اسماً أو فعلاً.

فمن أمثلة الجناس المستوفي بين الاسم والفعل:

- وسميته يحيى ليحيا ولم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

تيممت فيه الفأل حين رُزِقْتُه ولم أدر أن الفأل فيه يفيل

- إذا رماك الدهر في معشر وأجمع الناس على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

فمن أمثلة الجناس المستوفي بين الفعل والحرف:

- علا نجمه في عالم الشعر فجأة على أنه ما زال في الشعر شاديا

- ولو أنّ وصلاً عللوه بقربه لما أنّ من حمل الصبابة والجوى

٣- جناس التركيب: وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين.

مثاله:

- إذا ملك لم يكن ذا هبةْ فدعه فدولته ذاهبةْ

- يا سيداً حاز رقي بما حباني وأولى

أحسنت برّاً فقل لي أحسنت في الشكر أو لا؟

(أولى) كلمة مفردة بمعنى منح وأعطى و(أو لا) كلمتان مكونتان من (أو) العاطفة و(لا) النافية.

ثانياً- الجناس الناقص: هو أن يختلف ركنا الجناس في أحد الشروط الأربعة (نوع الحروف، أو شكلها، أو عددها، أو ترتيبها).

مثال الاختلاف في نوع الحروف:

- قال تعالى: "فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر".

- قال تعالى: "وهم ينهون عنه وينئون عنه".

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير".

مثال الاختلاف في شكل الحروف:

- هلا نَهاك نُهاك عن لوم امرئ لم يُلْفَ غيرَ منعم بشقاء

- والحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشِّعْر أو بيت من الشَّعَر

- قال تعالى: "ولقد أرسلنا فيهم مُنْذِرين، فانظر كيف كان عاقبة المُنْذَرين".

مثال الاختلاف في عدد الحروف:

- قال تعالى: "والتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق".
- إن البكاء هو الشِّفاءُ من الجوى بين الجوانح
- يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضب

مثال الاختلاف في ترتيب الحروف:

- وتحمله الناقة الأدماء مُعْتَجِراً بالبُرْدِ كالبدر جلَى نورُه الظلما
- مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَةٌ ردامٌ يُكَلِّمُهُ لفْظُها الطَّيْرَ الوقوعا
- بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب
- حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف

٢- رد الأعجاز على الصدور: هو أن يأتي المتكلم بلفظين مكررين أو متجانسين (بمعنى أنهما متشابهان لفظاً لا معنى) فيجعل أحدهما في أول الجملة والآخر في آخرها وهذا في النثر، وأما في الشعر فيكون الأول في صدر البيت أو في بعض العجز والثاني في عجزه أو قافيته.

مثاله في النثر:

- قوله تعالى: "وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه".
- وقول قائل: سائل اللئيم يرجع وده سائل.
- وقوله تعالى: "استغفروا ربكم إنه كان غفاراً".

ومثاله من الشعر:

- سريع إلى ابن العم يشتم عرضه وليس إلى داعي الندى بسريع
- عميد بني سليم أقْصَدَتْه سهام الموت وهي له سهام
- ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد
  واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
- ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً فإني بالبيض القواضب مغرم
- فمشغوفة بآيات المثاني ومفتونة برنات المثاني

٣- السجع: هو أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير، والفاصلة في النثر كالقافية في الشعر، وتسمى كل من الجملتين فقرة، وأحسن السجع ما تساوت فقره.

مثاله في النثر:

- قوله تعالى: "ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وقد خلقكم أطواراً".
- وقوله تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم".
- وقوله تعالى: "إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم".
- وقوله تعالى: "فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة".

ومثاله في الشعر:

- تجلى به رشدي، وأثْرَت به يدي وفاض به ثمدي، وأورى به زندي
- فيا يومها كم من منافٍ منافق ويا ليلها كم من موافٍ موافق
- فنحن في جذل، والروم في وجل والبر في شغل، والبحر في خجل
- تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب، في الله مرتقب